جامعة الجزائر-2- أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم الفلسفة

مذكرة بعنوان :

مفهوم الجنون وعلاقته بالسلطة عند ميشيل فوكو

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة

إعداد الطالبة:

شهرزاد عمري

إشراف د:

نوال بورحلة

السنة الجامعية

2016-2015

الإهداء

إلى كل من دفعوا أرواحهم فداء للوطن

إلى اللذان وهباني الحياة بعد خالقي:"أمي وأبي"

إلى أخي وسندي"الحاج عمري"الذي أنار لي درب العلم والإيمان

إلى زوجته"زينب" وولديهما "يحيى وبلقاسم"

إلى أخي "بلقاسم عمري" ، و زوجته و إبنه "محمد "

إلى زوجي العزيز "أحمد مختاري"لمساندته وتشجيعه لي،و إلى عائلته الكريمة إلى ابني "أنيس"

إلى إخوتي،أصدقائي،وزملائي في العمل،إلى أساتذتي منذ المرحلة الابتدائية إلى مرحلة الجامعة ،إليكم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع.

فهرس المحتويات

إهداء

كلمة شكر

فهرس المحتويات

مقدمـــة.....07

الفصل الأول

السياق التاريخي والفلسفي لفكر ميشيل فوكو

1/المنطلقات الفكرية ميشيل فوكو.....11

أ/تأثر فوكو بالفكر المنتقد للنزعة الانسية 11

ب/ تأثر فوكو بفكر نيتشه..... 15

ج/ ملامح البنيوية في فلسفة فوكو.....18

د/ المناهج التي تأثر بها فوكو 22

1- المنهج اللساني.....22

2-الأنثولوجيا و التحليل النفسي 24

2/الميادين التي اهتم بها فوكو:.....25

أ/الفلسفة.....25

ب/التاريخ.....28

ج/ تأثير الأوضاع السياسية على المسار الفكري لميشيل فوكو.....31

د/ مفهوم المنهج الأركيولوجي عند ميشيل فوكو.....35

الفصل الثاني

مفهوم الجنون وعلاقته بالسلطة

1/مفهوم الجنون 41

أ/تعريف الجنون من الناحية الطبية.....41

ب/مفهوم الجنون عند ميشيل فوكو 42

ج/الجنون عبر المراحل التاريخية عند فوكو 45

1/الجنون في العصور الوسطى.....45

2/الجنون في عصر النهضة.....46

3/الجنون في العصر الكلاسيكي 48

د/ ردود فوكو على عقلانية ديكارت.....52

2 /علاقة الجنون بالسلطة.....55

أ/تعريف السلطة عند ميشيل فوكو.....55

ب/نظرة السلطة للمجنون"العزل الأول وتأسيس المستشفى العام.....59

ج/الجنون والحيوانية.....62

د/العزل الثاني ولادة مؤسسة الطب العقلي.....64

هـ/ ردود فوكو على ممارسات السلطة ضد الجنون.....72

الفصل الثالث

الانتقادات الموجهة لميشيل فوكو

1/المؤيدون لطرح فوكو 77

2/الرافضون لطرح فوكو.....85

الخاتمـــة.....100

قائمة المصادر والمراجع.....105

مقدمـــة

مـقـدمـــــــــــــــة:

لقد سعى **ميشيل فوكو**،**Michel Foucault**(1926- 1984)من خلال أبحاثه المتعدّدة، ودراسته للمجتمعالغربي إلى نقد المجتمع الغربي الذي ينتمي إليه،ومساءلة هذه الحضارة التي أصبحت تشكّل- من وجهة نظر **فوكو**- تهديدا حقيقيّا على الإنسان ومستقبلهويرجع **فوكو** سبب ذلك إلى أنّ الغرب لم يعد يوفّر أسباب الراحة والهدوء والطمأنينة،ولم يعد يعمل على تحقيق كرامة الإنسان وإنّما أصبح المجتمع الغربي بمؤسّساته أداة للقمع واستعباد الناس،ومصدرا لاستعراض مختلف أنواع الإكراه،من تعذيب وعزل وسجن.....إلخفي حق الإنسان، وتعدّ فئة المجانين من منظوره الفئة الأكثر تعرّضا للإكراه والقمع والنبذ من قبل السلطة فهذه الأخيرة لم تتعامل- حسبه- مع المجانين باعتبارهم مرضى يحتاجون إلى المعالجة والرعاية،وبعبارة أكثر دقّة لم تتعامل السلطة مع المجانين باعتبارهم**أناسا** مرضى،وجب على السلطة حفظ كرامتهم، فعلى خلاف ذلك اعتبرتهم فئة وجب استغلالهم في أغراض تحقّق إمّا الكسب المادي،أو تجعل من أجسادهم حقلالتجارب طبية.

انطلاقا من هذه الفكرة حاول **فوكو** فضح المجتمع الغربي الذي يدّعى لنفسه- باسم الحداثة وباسم العقل- أنّه باستطاعته تحقيق أهمّ مبدأ يتعلّق بالإنسان،وهو تحقيق كرامتهمن خلال التّكفل اللاّمشروط بهماديّا و اجتماعيا و نفسيّا. لقد استهدف **فوكو** في نقده عقلانيّة الغرب التّي وصفها بالمتحجّرة والمتطرّفة و حاول تشريح أسس الحداثة الغربية التّي قامت في اعتقاده على المغالاة في الحديث عن العقل. بالإضافة إلى هذا أدّى نقده للحداثة الغربية إلى التّوصل إلى أمر في غاية الأهميّة وهو أنّ هذا العقل الذيتسعى الحداثة الغربية إلى التمسك به أدى إلى الكشف عن الممارسات اللاّعقلانية للسلطة، وبالتّالي رأى **فوكو** أنّ العقل في الحداثة الغربية هو منتج السلطة،وهو مبدأ للهدم لا للبناء ووسيلة للسيطرة والقمع لا للحرية والاستقرار.

يرى **فوكو** أنّ المجتمع الغربي الذي حمل شعارا له -هو الإعلاء من شأن العقل - قد كشف عن سياسته الهشّة واللاّمعقولة اتّجاه العديد من المسائل الهامّةالتّي تحتاج إلى اهتمام

خاص،كتلك المتعلّقة بظاهرة الجنون وحسب **فوكو**إنّ هذه الظاهرة لم تأخذ حقّها من الاهتمام من قبل فئتين رئيسيتين، أوّلا: من قبل السلطة التي قامت بتهميش ظاهرة الجنون وفرض الرّقابة عليها،عن طريق زجّهم في السجون والمؤسسات العقابية.ثانيا: من قبل الباحثين الذين لم يتناولوا ظاهرة الجنون بالبحث والدراسة.

بناء على هذا رأى **فوكو** باعتباره إنسانا أوّلا،وفيلسوفا وباحثا ثانيا ضرورة الاهتمام بهذه الفئة التّي عانت باسم الحداثة التهميش والإقصاء،ولا يتأتّى هذا حسبه إلاّ بالكشف عن الممارسات اللاّأخلاقية للسلطة اتّجاه المجانين والآليآت التي تستعملها من أجل قمعهم .

وعليه تتحدّد معالم المشكلة التّي يتضمّنها بحثنا حول مفهوم الجنون وعلاقته بالسلطة،وعلى ضوء ذلك تمركزت تساؤلاتنا المتعلّقة بهذه المشكلة ضمن الأسئلة التالية:

-ماهو مفهوم الجنون والسلطة عند **ميشيل فوكو؟**

- ما هي الطريقة التي تتعامل بها السلطة مع المجنون؟

- ما هي الطريقة التي يتمّ بها حجز المجانين،وماهي المؤسّسات التّي خصّصت لاستقبالهم؟

- وماهي الهيئات التي تقوم بتحديد جنونهم،وعلى أيّ أساس يصنّفون في خانة المجانين؟

ومحاولةمنّا للإجابة عن المشكلة المطروحة،وضعنا خطّة بحث قائمة على ثلاث فصول،ومقدمة وخاتمة إذ سنبحث في الفصل الأول المعنون **بالسّياق التاريخي و الفلسفيلفكر ميشيل فوكو**،وقد قسّمناه إلى مبحثين: المبحث الأول المعنون **بالمنطلقات الفكريةلفكرميشيل فوكو، و** المبحث الثاني المعنون **بالميادين التّي اهتمّ بها فوكو** إذنحاول من خلالهما تقديم فكرة عن المناخ الفكري و الثقافي الذي كان يعيش ضمنه **فوكو**، و نبرز أهمّ المنطلقات و الأسس التي بنى عليها فلسفته، من خلال انتقاده للنزعة الإنسيّة و من ثمّتبنّيه للمنهج البنيوي، وذكر أهمّ من تأثّر بهم من فلاسفة ومناهج، و أهمّ الميادين المختلفة التي اهتم بها و اشتغل فيها مثل الفلسفة و التاريخ و السياسة.

وقد جاء في الفصل الثاني المعنون **بمفهوم الجنون و علاقته بالسلطة**،وهو بدوره مقسّم إلى مبحثين: المبحث الأول المعنون **بمفهوم الجنون**و المبحث الثاني المعنون **بعلاقة الجنون بالسلطة** إذعملنا على توضيح كيفيّة قراءة **فوكو** لمفهوم الجنون والأسباب التي جعلت-الطب النفسي- يأخذ بعدا آخر غير مداواة المرضى و رعايتهم، كما عملنا على إبراز مختلف أشكال الإكراه و آليّات التعذيب التي تمارسها السلطة بمؤسساتها المختلفة على المجنون، مع تبيان أهمّ ردود الفيلسوف **فوكو**على هذه الممارسات و موقفه منها.

أما في الفصل الثالثالموسوم **بالانتقاداتالموجهة لفكر ميشيل فوكو**و هو بدورهمقسم إلى مبحثين **:** المبحث الأول المعنون**بالمؤيدون لطرح فوكو** و المبحث الثانيالمعنون**بالرافضون لطرح فوكو**وسيكون هذا الفصل بمثابة محور نقدي، نحاول من خلاله تبيان أهمّ الإيجابيات و السلبيات حول أطروحة الجنون عند **فوكو**، مع محاولة الاستناد إلى بعض آراء الفلاسفة و المؤرخين أمثال **ميشال سير MICHEL SERRES**و **جيلدولوز GILLES DELEUZE(1925-1995)**و **جاك دريدا JACQUES DERRIDA(1930-2004)**، لتأكيد وجهات النظر التي تختلف من مؤيد و معارض.

و لقد قمنا باستخدام المنهج التحليلي النقدي الذي هو أنسب إلى تحليل موقف **فوكو** من الجنون و السلطة، مع إبراز النقد الذي يكشف عن عيوب فكرة الجنون في علاقته بالسلطة من خلال موقف بعض الفلاسفة،أما الخاتمة فقد حاولنا جعلها بمثابة عرض لأهمّ الاستنتاجات التي استخلصناها أثناء عملية البحث.

الفصل الأول: السياق التاريخي والفلسفي لفكر ميشيل فوكو

1/المنطلقات الفكرية لفكر ميشيل فوكو

أ/تأثر فوكو بالفكر المنتقد للنزعة الانسية

ب/ تأثر فوكو بفكر نيتشه

ج/ ملامح البنيوية في فلسفة فوكو

د/ المناهج التي تأثر بها فوكو

1- المنهج اللساني

2-الأنثولوجيا و التحليل النفسي

2/الميادين التي اهتم بها فوكو

أ/الفلسفة

ب/التاريخ

ج/ تأثير الأوضاع السياسية على المسار الفكري لميشيل فوكو

د/ مفهوم المنهج الأركيولوجي عند ميشيل فوكو

1/المنطلقات الفكرية لفكر ميشيل فوكو:

لقد ساهمت بعض التيّارات الفكريّة والفلسفيّة، وبعض المناهج السائدة بشكل ملحوظ في تكوين فلسفة **فوكو**، واستنادا إليها حاول أن يكون من المساهمين في تحليل ونقد المجتمع الغربي، أو ما يعرف باسم المجتمع الحداثي. و من أهمّ منطلقات فكر **فوكو** نذكر ما يلي:

أ- تأثر فوكو بالفكر المنتقد للنزعة الإنسيّة:

لقد ظهر **فوكو** وعاش ضمن حقل ثقافي، ساد فيه التّيار المنتقد للتاريخ وللنزعة الإنسيّة* وذلك باسم الهيمنة المطلقة للاّشعور وللغة وللبنيات، حيث تبنىّ بعض مسلّماته الفلسفيّة وبعض عناصر وطرائق منهجه.

نشأ المشروع الفكري النّقدي عند **فوكو** في ظلّ الثّقافة الجديدة في فرنسا التي اشتهرت بالإنعتاق من النزعة الإنسيّة،"حيث أعجب كثيرا بفكرة استبعادها للذّات، وسعى جاهدا إلى هدم أسسها واستئصالها من جذورها"[1]. ومن أشهر دعاة النزعة اللاإنسيّة نذكر **مارتن هيدغر**MARTIN HEIDDEGGER **(1889-1976)** الذي كان مناهضا كليّا للنزعة الإنسيّة ولفلسفة الذات عموما، حيث يعرّف **هيدغر** النزعة الإنسيّة: "بأنّها فلسفة جعلت الإنسان محورا للكون، وإعتقدت من خلال تأويلات ميتافيزيقيّة للوجود في إمكانية جعله حرّا في إنسانيّته، فكل تحديد لماهية الإنسان لا ينطلق من حقيقة الوجود ويتناساها، فهو بالتأكيد نزعة إنسيّة قائمة على أساس ميتافيزيقي"[2]. يقصد **هيدغر** بعبارة نسيان الوجود نسيان الإنسان من خلال الفلسفة، **"**فالفلسفة حسبه تغاضت عن فكرة موت الإنسان وتناست

---

* **النزعة الإنسيّة:** حركة فكرية يمثلها (بترارك، بوغيو، لورنت قالا، إراسم، بوديه، أولريخ، دو هوتن)، و تتميّز بمجهود لرفع كرامة الفكر البشري و جعله جديرا، ذا قيمة، وذلك بوصل الثقافة الحديثة بالثقافة القديمة، في ما يتعدّى العصرالوسيط و المدرسية،مما لاشك في أنه من غير الممكن إيجاد تعريف أشمل للإنسيّة من هذا التعريف:مركزيّة إنسانيّة مترويّة، تنطلق من معرفة الإنسان، وموضوعها تقويم الإنسان و تقييمه، واستبعاد كل ما من شأنه تغريبه عن ذاته، سواء باخضاعه لحقائق و لقوى خارقة للطبيعة البشرية، أم بتشويهه من خلال استعماله استعمالا دونيا، دون الطبيعة البشرية. للمزيد ينظر أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، الجزء الأول ط2،(باريس، منشورات عويدات،2001)،المادة : النزعة الإنسيّة.

[1] عبد الرزاق الداوي. موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر: هيدغر-ليفي شتراوس- فوكو، بدون طبعة، (بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بدون تاريخ النشر)، ص 172.

[2] مارتن هيدغر، "رسالة في النزعة الإنسانيّة"، تر: عبد الهادي مفتاح، مجلة فكر و نقد ، العدد 11، سبتمبر، 1998، ص 10 .

محدوديّته في الزمان وأصبحت لا تهتّم إلا بتطوير قدراته وتفعيل إنجازاته"[1]. ومن بين دعاة النزعة اللاإنسيّة نذكر أيضا **لوي ألتوسير LOUIS ALTHUSSE (1918-1990)** الذي قدّم مشروع قراءة للفلسفة الماركسية، والذي تأسّس على عدّة أطروحات أهمّها أنّ الماركسية مضادّة تماما للنزعة الإنسيّة، لقد اعتبر **ألتوسير** أنّ مفهوم النزعة الإنسيّة مفهوم إيديولوجي غير علمي، والإيديولوجيا في نظره ليس لها تأثير هامشي بسيط فقط بل عميق، وهو ما نجده في المجتمعات الطبقيّة حيث أنّ الإيديولوجيا السائدة فيها هي إيديولوجية طبقة مسيطرة **"**وخير دليل على ذلك البرجوازيّة الأوروبيّة التي نادت بالحرية والمساواة والعدالة، ولكنّها في حقيقتها مجرّد زيف و استغلال للنّاس**"**[2]. ومن الفلاسفة البنيويين الذين انتقدوا النزعة الإنسيّة نذكر **كلود ليفي ستروس CLAUDE LEVI STRAUSS (1908-2009)** في ميدان الأنثروبولوجيا*، حيث لم يعترف بالإنسان كذات ووعي وإرادة بل بالإنسان المغمور باللاّشعور من كل جانب،**"** وبالرّغم من اهتمامه بالعقل إلاّ أنّه تحدّث عن عقل لا ينتمي إلى أيّة ذات، حيث يرجع العقل البشري إلى نشاط لا واع أساسا أي اللاّشعور**"**[3]. وفي هذا السّياق نذكر كذلك أبحاث **جاك لاكانJACQUES LACAN (1901-1981)** المعارضة للنزعة الإنسيّة، **"**فالحقيقة التّي ينتهي إليها التّحليل النفسي حسبه لا تقوم إطلاقا على الكشف عن أيّة ذات، فهي تتعيّن أوّلا وأخيرا في القوانين اللاّشعورية**"**[4]. واستنادا لهذا قام **فوكو** بإنتقاد العلوم الإنسانيّة ورفض أن يعترف لها بالصفة العلميّة، مؤكّدا ذلك في كتابه الكلمات والأشياء قائلا: **"**لا جدوى من القول أنّ العلوم

[1] عبد الرزاق الداوي: موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر: هيدغر-ليفي شتراوس- فوكو، ص 43 .

[2] عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، بدون طبعة ،(الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، بدون تاريخ النشر)، ص225 .

* الأنثربولوجيا البنيوية: مصطلح يستعمله ليفي ستروس للدلالة على نوع تخصصه كلمة اثنولوجيا Ethnologie، و كذلك عبارة أنثربولوجيا ثقافية و اجتماعية، أما الموضوع الذي يهتم به من خلال هذه التسميات فهو البحث عن البنيات اللاشعورية لأشكال الثقافة البشرية .

[3] كلود ليفي ستروس، الفكر البرّي، تر: نظير جاهل، ط3 ،(بيروت، لبنان، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2007)، ص302.

[4] عبد الرزاق الداوي: موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر: هيدغر-ليفي شتراوس- فوكو، ص 11 .

الإنسانيّة علوم خاطئة، بل هي ليست علوما على الإطلاق**"**[1]. ثمّ يضيف: **"** لقد كوّنت الثقافة الغربيّة تحت اسم إنسان، كائنا يجب عليه أن يكون لجملة أسباب مترابطة، مجالا إيجابيّا للمعرفة ودون أن يتحوّل إلى موضوع علم**"**[2].

يرى **فوكو** بأنّ العلوم الإنسانيّة لم تتلقّ من العصر الكلاسيكي أيّ ميراث معرفي والسّبب في ذلك أنّ مفهوم الإنسان لم يكن موجودا في ذلك العصر،**"**وحتّى علوم اللغة والحياة لم تكن معروفة**"**[3]. أمّا الانتقال من العصر الكلاسيكي إلى العصر الحديث، فقد تمّ بعد أن فقد العقل قدرته على تأسيس الروابط التي تربط بين عناصره*، كان العصر الكلاسيكي يتعامل مع الظاهرة البشريّة على أنّها أشياء ماديّة قابلة للتجربة و للتّصنيع التكنولوجي و بهذا لم يهتّم بالأبعاد الإنسانيّة للإنسان. أمّا في العصر الحديث أصبح الإنسان موضوع معرفة و ذاتا عارفة في الوقت نفسه، **"**فلم يظهر الإنسان في القرن التاسع عشر بصفته طبيعة بشرية فقط بل بصفته ذاتا وموضوعا في آن واحد**"**[4].

اقتنع **فوكو** من كون أنّ هذا الإنسان باعتباره كائنا محدودا غير قادر على إقامة علم بذاته فحدوده الموت ونهايته قريبة، لقد أظهر **فوكو** أنّ العلوم الإنسانيّة تقع على حدود كلّ من الفيزياء والبيولوجيا وعلوم اللغة، فهي علوم هامشية ولها مكانة ثانوية وهذا ما جعلها في نظره أقرب إلى الميتافيزيقيا منها إلى العلوم ذات المناهج المتطوّرة. إنّ العلوم الإنسانيّة في نظره ليست مؤهّلة لتكون علما صحيحا، لأنّها حسبه لم تحقّق نتائج ملحوظة مثلما حقّقته الفيزياء على سبيل المثال. كما تجدر الإشارة إلى أنّ غرض **فوكو** من هذا النّقد ليس التشكيك في القيمة العلمية لهذه العلوم ، وإنّما يتعلق الأمر بنقاش إبستمولوجي

---

[1] ميشيل فوكو،الكلمات والأشياء، تر: مطاع صفدي،ط2،(بيروت ، لبنان، دار الفارابي، مركز الإنماء القومي ، 2013)، ص 402.

[2] المصدر نفسه، ص 403.

[3] المصدر نفسه ، ص380.

*لقد ذكر فوكو أن النزعة الإنسيّة في عصر النهضة والنزعة العقلانية في العصر الكلاسيكي قد خصّتا البشر بمكانة ممتازة في نظام العالم ولكنهما لم تستطيعاالتفكير في الإنسان، وفي نفس السياق يؤكّد بأن الإنسان كذات،لم تكن له أهمية في إبيستمي عصر النهضة وكذلك في إبستمي العصر الكلاسيكي، فقد كانت الثقافة الغربية قبل القرن الثامن عشر مهتمة بفكرة الإله والجسم والانفعالات، وبهذا قد أفاض العصر الكلاسيكي في الحديث عن العقل والجسم الإنساني، ومن الحواجز التي تحد من حريته، لكن الإنسان كما يظهر في المعرفة الحديثة لم يكن أبدا موضوعا للمعرفة ،قبل بداية القرن التاسع عشر يوضح فوكو حقيقة مفادها أن الأمر الذي حال دون أن يكون الإنسان موضوعا للمعرفة قبل القرن الثامن عشر، هو أن الأوليات التاريخية التي أسست إبستمي العصر الكلاسيكي وخطابه المعرفي كانت تربط بين التمثل والوجود، فالوجود إدراك وتمثل والمعرفة هي التي تقوم بتنظيم وتصنيف التمثلات، وكانت المعرفة مشغولة في البحث عن النظام في الكائنات والكلمات، فقد كان خطاب ثقافة العصر الكلاسيكي منظما، بحيث لم يترك في فضائه كما يقول فوكو حيزا خاص بالتساؤل، عن شروط التي تسمح بإمكان المعرفة نفسها وتجعل التمثلات ذاتها ممكنة.

[4] عمر مهيبل. البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر ، ص 84.

شأنه أن يغني العلوم الإنسانيّة ويدفع بها إلى توخّي الدّقة. على هذا إتسمت العلوم الإنسانية في نظره بقدر كبير من العمومية والغموض واعتبرها أثقل ميراث تحدّر إلينا من القرن التاسع عشر ويوضّح ذلك في قوله:

> إنّ النزعة الانسانية تصطنع حلولا لمشاكـل لا يمكن أن تطرحها على نفسها، مثل مشكل السعادة ومشكل الابداع الفني،وكل الوساوس التي تستحق قطعا أن تكون نظرية، لذلـــك علينا أن ننهي هذه المحاولات الفارغة،علينـا إنقاذ الإنسان وإعادة اكتشاف الإنسان داخـل الإنسان لأن تلك المحاولات المغرقـة أدت إلى إصابة العمل الذهني بالعقم.[1]

إنّ نقد **فوكو** للنزعة الإنسيّة في المجال المعرفي له ما يبرّره، فهو نقد قد أوحى في البداية بفعل تأثير المناخ الذي نشأ فيه، وهذا النّقد يتوجّه إلى مفهوم الإنسان ذاته بالدرجة الأولى، لذلك ربط **فوكو** ظهور العلوم الإنسانيّة بلحظة ميلاد الإنسان في القرن التاسع عشر. هذا القرن الذي شهد العديد من الاختراعات والتطّورات بتعبير **فوكو**، ومن بينها العلوم الإنسانيّة التي جعلت الإنسان موضوعا للمعرفة بعثت في نفسه-الإنسان-الأمل والطموح وأوهمته أنه سيكون سيدا مالكا، وسيتحرر من كل أشكال الاستلاب وأوحت بالأفكار التّحررية وبشّرت بمجيئ العصر السعيد، لكن سرعان ما تبدّد هذا الأمل، وحدث جرّاء ذلك صدع بين تقدّم الإنسان في المعرفة وتقدُّمه الأخلاقي، كما حملت العلوم الإنسانية على عاتقها كلّ ما آل إليه العصر من صراعات ونزاعات معرفية و سياسية و اقتصادية، وبهذا حدثت نقطة تحوّل في مجرى السؤال عن الإنسان كماهية، وإرادة فعالة. وإعلان موته عند العديد من الفلاسفة أمثال **فوكو** و**نيتشه (1844-1900)**، ولقد كانت فلسفة موت الإنسان باعتبارها مرحلة أولى للمشروع الفكري عند **فوكو** تكملة لما كانت البنيوية* قد بدأته من قبل و هو هدم دعائم النزعة الإنسيّة.

[1] ميشيل فوكو،همّ الحقيقة، تر: مصطفى المسناوي، مصطفى كمال، محمد بولعيش ،ط1،(الجزائر،منشورات الاختلاف،2006)، ص 12.

* يلي تعريفها في الصفحات القادمة.

إنّ الهدف الذي كان يطمح **فوكو** إلى تحقيقه هو إثبات أنّ **"**المعرفة كمجال تاريخي تظهر فيه العلوم متحرّرة، من كل فعاليّة مؤسسة ومن كل إحالة إلى نزعة تاريخية متعالية**"**[1] . يعتبر **فوكو** نفسه منتميا لثقافة موت الإنسان التي بدأت مع **نيتشه** عندما أعلن بأنّ موت الإله لا يعني بزوغ عهد للإنسان بل أفوله، ويعتبر **فوكو، نيتشه** من أعظم الفلاسفة على الإطلاق بالرّغم من بروز العديد من الشعراء مثل **هولدرلين (1770-1843)** والفلاسفة أمثال **هيغل** و**ماركس** وغيرهما. لقد استقى **فوكو** مادته الفكرية وبلور معالم مشروعه الفكري تحت شعار إختفاء الإنسان من خلال تأثّره بدعاة النزعة اللاإنسيّة و بصفة خاصة **نيتشه،** فهو-**فوكو-** لم يخف إعجابه الشّديد به حيث تعتبر فلسفة **نيتشه** من أحد أهمّ المنطلقات التي أسّس **فوكو** من خلالها فلسفته وانطلاقا من هذا إرتأينا توضيح هذا التأثير وإبرازه فيما يلي:

ب- تأثر فوكو بفكر نيتشه :

لقد أعجب **فوكو بـ نيتشه** كثيرا وإعتبره من أكبر فلاسفة التاريخ، ورغم أنّه لم يكتب عنه أيّ كتاب، إلاّ أنّه خصّص آخر صفحات من كتابيه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي والكلمات والأشياء، لكي يشيد بعظمته الفكرية وفلسفته الفريدة، وأهمّ ما أثار إعجابه الشديد بـ **نيتشه** العبارة الشهيرة التي أسّس عليها فلسفته العدمية **"** لقد مات الإله**"**.[2] حيث اعتبرها نقطة تحوّل دفع بها الفكرة إلى أقصاه،**"** فقد قتل نيتشه الله والإنسان معا وصرّح بأنّ موتهما متلازمان**"**[3]. يكشف لنا تأثر **فوكو** بفلسفة **نيتشه** على حسّ مأساوي نستشفه من خلال كتاباته فهو يؤكد-**نيتشه-**:**"**أنّه يجب قتل الإنسان من أجل إيجاد الإنسان الأعلى**"**[4]. إنسانا لا يشبه إنسان القرن التاسع عشر الذي قام بتأليه نفسه، كما يعني التّنبؤ بموت الإنسان الراهن، ظهور عتبة جديدة يمكن أن ينطلق منها الفكر من جديد.

---

[1] Michel Foucault. « Réponse au cercle d'épistémologie ». Un cahier pour L'analyse n°9.mai 1968، pp 39،40.

[2] فريديريك نيتشه، هكذا تكلّم زرادشت، تر: فليكس فارس، بدون طبعة ،(الإسكندرية، مطبعة جريدة البصير، 1938)، ص05.

[3] ميشيل فوكو. الكلمات والأشياء، ص 420.

[4] ميشيل فوكو. نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، ط 1، (بيروت، لبنان، دار التنوير للطباعة والنشر، 2007)، ص97.

إنّ حضور**نيتشه** في فلسفة **فوكو** يبدو واضحا جليّا حيث تظهر لنا فلسفته كجينالوجيا* نيتشوية، هاته الأخيرة التي كرّسها **نيتشه** لنقد منظومة شاملة من مفاهيم ميتافيزيقية مثل الجوهر*، الأصل. يرى **فوكو** أنّ الجينالوجيا تعلّمنا الاستخفاف بالإعجاب المتزايد الذي يحظى به الأصل: **"**فالأصل قائم على تصور مؤداه أنّ الأشياء في بدئها تتوفّر على كل ما هو جوهري ونفيس**"**[1]. فهو موطن الحقيقة، لكن في رأي كل من **نيتشه** و**فوكو**: ليست هناك حقيقة أبدية ذلك أنّه لن تبقى حقيقة إلاّ وسرعان ما ستنكشف والدليل على ذلك الكثير من التجارب التي عايشها الإنسان.

إنّ البحث الجينالوجي هو بحث تاريخي يقيم قطيعة مع التراث الميتافيزيقي الذي ظلّ مسيطرا لحقبة طويلة من الزمن. إنّ الباحث الجينالوجي بالنسبة إلى **فوكو** يحمل على عاتقه مهمّة الكشف عن علاقات الهيمنة ومقولات الانفصال عبر التاريخ. **"**كما يسعى إلى تشخيص وبيان العلاقات التي تربط كل من الجسد والمعرفة والسلطة في العالم الغربي، وذلك من أجل بلورة تصور جديد للتاريخ والكشف عن قوانينه الثابتة**"**[2].

يخلص **فوكو** إلى أنّ إرادة المعرفة التي تحرّك التاريخ في تصوّر**نيتشه** ليست إلاّ إرادة القوّة نفسها في نزعتها إلى السيطرة وإحكام قبضتها على الأحداث، يلتقي **فوكو** مع **نيتشه** في إدراكه لدور علاقات القوة والسيادة في صناعة التاريخ وهوما أعرب عنه **جيل دولوز** بوصفه نقطة الإلتقاء بين الفيلسوفين فأطروحات **فوكو** الأساسية حول السلطة **"**ليست سوى تعبيراعن موقف نيتشوي عميق**"**[3].يضيف **دولوز** قائلا:**"** إنّ السلطة عند **فوكو** هي علاقة

---

* **جينالوجيا (genealogy):** مصطلح يتكون من شقين (Genea) مفردة تعود إلى اليونانية تعني العرق البشري و(Logy) تعني علم، بمعنى علم الأعراق والنسابة أو السلسلة والنسب وبالتدقيق دراسة النشأة والتكوين لإثبات النسب والوصول عند الأصل وتنتمي الجينالوجيا إلى ميدان التاريخ. أول من استعمل هذا المصطلح بمعنى جديد ومغاير هو نيتشه الذي استخدمه من أجل نقد المنظومة الغربية، وتهدف الجينالوجيا إلى إرجاع الظواهر والأشياء إلى مصادرها وأصولها وتحديد قيمتها من جهة أخرى. للمزيد ينظر: جويس.م. هوكنز قاموس أكسفورد إنكليزي عربي، تحرير عمر الأيوبي، ط1،(لبنان، أكاديمية دار الكتاب العربي، 2006)، المادة : الجينالوجيا.

* الجوهر: معناه المبدئ الأول غير قابل للتحول الكامل في كل الأشياء الموجودة، و سيظل دون المساس في كل التحولات، هو ذلك الجوهر الأعم و الأعمق الذي لا يقوم سببه و أساسه على شئ أخر و انما على ذاته .ينظر م رزنتال– ب. يودين، تر: سمير كرم، ط3،(بيروت، لبنان، دار الطليعة، 1981)، المادة : الجوهر.

[1] ميشيل فوكو. جينالوجيا المعرفة، تر: أحمد السطائي وعبد السلام بنعبد العالي، ط2 ،(المغرب، دار توبقال للنشر، 2008)، ص 66.

[2] زواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، بدون طبعة، (القاهرة، مصر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 2000)، ص ص 129، 130.

[3] جيل دولوز. المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، تر: سالم يفوت، ط1، (بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، 1987)، ص 78.

قوى، أو أن كل علاقة قوى، هي على الأصح علاقة سلطة**"**.[1] وهوما نجده عند **نيتشه** أيضا، ولقد حلّل **دولوز** مفهوم القوة بالنسبة **لنيتشه** بشكل عميق ونافذ، فمن خصائص القوّة في نظر **نيتشه** هو كونها لا توجد منفردة فيجب ألا أن نتحدث حسب **نيتشه** عن القوّة بقدر ما يجب أن نتحدّث عن تعدّد القوى، **"**ذلك أنّ كلّ قوّة تتّجه إلى قوّة أخرى لتدخل معها في صراع**"**[2]. و حينما يرى **نيتشه** أنّ علاقة القوة تتعدّى العنف و لا تنحصر فيه أو تتحدّد به،**"**نجد أنّ **فوكو** يرى أنّ علاقات السلطة هي علاقات إنتاج وخلق و إبداع**"**[3].

ومن جانب آخر وبالرغم من كون **فوكو** يشيد كثيرا بعلم وحكمة **نيتشه** وكتبه القيمة كونه يمثّل بالنسبة إليه علامة كبرى على الفصل بين الإنسان واللّغة في القرن التاسع عشر، إلاّ أنهّا في نظره مجرد شرح وتأويل لبعض الكلمات اليونانية. لقد توصّل **نيتشه** في أبحاثه اللُّغوية إلى إقصاء الذّات وهدم الكوجيتو* ولهذا أتُّهم باللاشيئية الهدّامة.ويعرّفها **نيتشه** بأنهّا:"عدم وجود الهدف أو تعذر الإجابة عن لماذا؟"[4].ويرى **فوكو** أنّ **نيتشه** لم يفعل سوى الكشف عن اللاشيئية المستترة في لغة العصر الكلاسيكي وعلى سبيل المثال لاحظ **نيتشه** أنّ إفراط **ديكارت****في الحذر كثيرا ترتّب عنه نتائج عكسية فهو يصادف الشيطان الماكر***[5] ويحدّده دون أن يستطيع إبطال سطوته، رغم الإعتراف به وتحديده وغياب

---

[1] جيل دولوز. المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو ، ص 78.

[2] جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، تر: أسامة الحاج، ط2 ،(بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2001)، ص 66.

[3] _____ ، المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، ص 77.

* **الكوجيتو (cogito):** لفظ لاتيني يعني "أنا أفكر" مع إضافة لام التعري يقصد به حجة ديكارت التي تستدل بالفكر على جوهرية النفس وصياغتها: "أنا أفكر إذا أنا موجود" وهذه الحجة ليست استدلالا وإنما هي نوع من الحدس يكشف عن حقيقة أولية لا يتطرق إليها الشك. ينظر جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، بدون طبعة، (بيروت ،لبنان، دار الكتاب اللبناني، 1982) ، المادة: الكوجيتو.

[4] فريديريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، تر:حسن قبيسي، ط2 ،(بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1983) ،ص55.

** **ديكارت:** فيلسوف و رياضي و فيزيائي يلقب باب الفلسفة الحديثة، كان ضليع بعلم الرياضيات فضلا عن الفلسفة، من كتبه (تأملات في الفلسفة الأولى).

** ***الشيطان الماكر:** هي عبارة عن حجة أتى بها ديكارت من أجل أن يثبت وجود الله، يفترض فيها أن العقل ربما يقع فريسة شيطان ماكر يملك القدرة على تضليله والتلاعب بالحقيقة وإظهار الزيف باطلا والباطل صوابا وحقيقة وللخروج من هذا والتخلص من الشيطان لابد من استدعاء كائن أعلى وأقوى منه بحيث يكون قادرا على طرده ولن يكون هذا الكائن إلا الله.

الهدف هنا يعني الوقوع في اللاشيئية وعلى هذا فإنّ **نيتشه** في حقيقته التاريخية لم يأت إلاّ بنفي النفي. وما هو جدير بالذكر أنّه رغم إنتقاد **فوكو** لـ **نيتشه** في هذه النقّطة إلاّ أنه سعى معه إلى هدم الكوجيتو الديكارتي خاصة، والعقلانية الحداثية عامة، وهذه المسألة من أهّم المسائل التي تبرز حضور فكر نيتشه في فلسفة **فوكو** فقد وجه كل منهما نقدا لاذعا للحداثة وحاولا تفكيكها وإظهار غموضها وزيفها، فكما يعيب **نيتشه** الفلسفة الحديثة كونها عظّمت العقل وحاولت تأليهه، بحجة أنه قادر على معرفة كل شيء، كان **فوكو** من جهته يؤسّس لأطروحته حول الجنون التي تهدف إلى إظهار طغيان التّقدم والتّطور بظهور المجتمع الاستهلاكي، وتراجع الحرية وتذبذب العدالة. كما أنّ دراسات **فوكو** التاريخية لفترة محدّدة من تاريخ الغرب،التي ظهر بمقتضاها واقعة المهمشّين بإسم نصرة العقل وتمجيده ،"تبرر العداء الكامن الذي أولاه **فوكو** للعقل و احتقاره لمبادئ التنوير و رفضه للإنسيّة"[1].التي هي من وجهة نظر **فوكو** من أحد المسببات لما يسمى بأزمة الحداثة وهي- الحداثة- أدّت بدورها إلى إستلاب الإنسان.

جـ ملامح البنيوية في فلسفة ميشيل فوكو:

لم يتردّد **فوكو** في الاعتراف بإعجابه الكبير بالحركة البنيوية وأقطابها كما تمثّله اللسانيات البنيوية* ودراسات **ليفي ستروس** الأنثروبولوجية ويتجلّى تأثّر **فوكو** بالبنيوية من خلال توظيفه للعديد من المفاهيم البنائية مثل اللغة والعلاقات بين الإشارات والرموز.

[1] محمد المزرغي، نيشه– هيدغر– (تفكيك و نقد)، ط1،(تونس، دار المعرفة، 2004)، ص 204.

*إن البنية تهمل أولا وقبل كل شيء طابع النسق أو النظام فالبنية تتألف من عناصر إذا ما تعرض الواحد منها للتغيرات تحولت باقي العناصر الأخرى ومنه البنيوية ليست مدرسة فلسفية أو ميدانا خاصا للمعرفة، بل هي اتجاه فكري أصبح يغزو جميع الميادين، وما هو أساسي في البنيوية يرجع أصلا إلى عالم اللسان فردنان دوسوسير (F.de ssausure) ، وفي أصلها هي النظر إلى المشاكل الفلسفية من زاوية المنطلق العلمي، ويرى "فردنان دي سوسير" أن اللغة نسق يتألف من رموز وعلامات متداخلة، وأنّه يجب دراسة عناصر اللغة لا من حيث معناها بل أيضا حسب علاقاتها بعضها ببعض داخل النسّق اللغوي، ثم إن البنية اللّغوية تفسر كل الظواهر الأخرى فانطلاقا من النموذج الألسني يمكن دراسة الأنماط الاجتماعية، والمؤلفات الأدبية، فالإنسان أصبح يدرس إنطلاقا من كلامه ولغته، ومن ثم تؤكد البنيوية على حقيقة اللاّشعور، فالإنسان الذي يعيش ضمن تركيبة اجتماعية ثقافية، ليس له وعي بما تمليه عليه الثقافة والمؤسسات من سلوك فكري وعملي، بل ينمحي أمام البنى التي ينتمي إليها، ولا يتصرف إلا بمقتضى الهياكل التي ينصهر ضمنها، وهذه الفكرة نفسها تبرز في قول فوكو: «لأنّ الإنسان في طريقه للاختفاء بمقدار ما تسطع في أفقنا كينونة اللّغة»، فالحقيقة القصوى في نظره لا تقال إلا بواسطة اللغة، وذلك يتم خلال تنظيم معيّن للثقافة خارج عن إرادة الأفراد المساهمين في مجال تصميمها.ينظر جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ،ط1،(تونس، دار الجنوب للنشر،2004)،المادة: البنيوية، و ينظر ميشيل فوكو، الكلمات و الأشياء، ص305.

أمّا في كتابه أركيولوجيا المعرفة نجده أيضا مرتبطا ببعض المفاهيم البنائية الموضحة في قوله:" لقد كان هدفي إستبعاد الذات، و تبيان وتحديد الوظائف التي باستطاعة الذات أن تشغلها داخل الخطابات"[1].إنّ فوكو يشترك مع البنيوية في نقطة مهمة ألا وهي مسألة إقصاء الذات، ومن المعروف أنّ البنيوية انطلقت في بداياتها من خلال إقصاءها للذّات، وركّزت بدلا من ذلك على العلاقات الداخلية في حقبة ما، وإعتقدت أنّ المعرفة هي نتاج وحصيلة تفاعل تلك العلاقات، وهو ما ذهب إليه **فوكو** أيضا، ثم إنّ مفهوم **"الإبستمي"** الذي وظّفه **فوكو** في الكلمات والأشياء الذي يعني به مجموع العلاقات التي يمكن أن نكشفها في حقبة تاريخية ما بين العلوم التي نحلّلها ، بإعتباره القضية الكامنة وراء المعرفة في عصر معين، هذا المفهوم يشبه كثيرا مفهوم البنية لدى البنيويين حتى وإن كان **فوكو** ينوه في نهاية كتابه أركيولوجيا المعرفة"أنّه لم يستخدم كلمة "بنية" طيلة صفحات كتابه الكلمات والأشياء"[2].

ولقد كان كتاب ميشيل **فوكو** الكلمات والأشياء أول تطبيق للاتجاه البنيوي، في مجال البحث الإبستمولوجي" وبه أصبحت البنيوية سيدة البحث الفلسفي"[3]. فقد كانت البنيوية منعطفا حاسما في مناهج البحث كونها ثارت على كل الفلسفات التقليدية، و كان هدفها الأسمى هو فتح آفاق جديدة للتفلسف وتحرير العلوم الإنسانية من عوائقها لتصبح علوم مضبوطة، لقد صرّح **فوكو** بأنّ البنيوية هي: "وعي المعرفة الحديثة المستيقظ والقلق"[4]. وأكدّ على أهميّتها بوصفها منهجا وفلسفة،وعندما حلّل المناهج المعاصرة قسّمها إلى منهجين: منهج صوري ومنهج تأويلي،وبيّن أنّ المنهج الصوري يظهر في المنطق الرياضي وفي البنيوية، وهذه المناهج هي الموجّهة للمعرفة الحديثة ، ولم يشد **فوكو** بالبنيوية كمنهج فقط ، بل حتّى بأقطابها و طرائق معالجتها للظواهر، فما يتميّز به

[1] ميشيل فوكو: أركيولوجيا المعرفة، تر: سالم يفوت، ط 2،(بيروت، المركز الثقافي العربي، 1987)، ص181.
[2] المصدر نفسه، ص 182.
[3] عبدالوهاب جعفر.البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو،بدون طبعة،(الاسكندرية، مصر، دارالوفاء لدنيا الطباعة والنشر،2013)، ص05.
[4] ميشيل فوكو. الكلمات والأشياء، ص 221.

البنائيّون في نظره، كونهم لا يتوقّفون عندما يصفه الواقع* بين أيديهم فقط، مثلما يفعل علماء الاجتماع مثلا، من النظر إلى نسق التّفاعلات الاجتماعية الظّاهرة بإعتبارها كافية بذاتها، بل يسعون إلى الكشف عن ما هو أعمق عن النسق العقلي، أو القانون الذي يختفي وراء الظواهر المحسوسة، لذلك دخلت البنيوية في مواجهة مع النزعة الإنسيّة القائلة بالإتّصال التاريخي، وهذا من أسباب إرتباط **فوكو** بالبنيوية، كونه نقد كذلك فكرة الإستمرارية التاريخية، ودعا للقطيعة والإنفصال الذي أصبح اليوم أحد العناصر الأساسية للتحليل التاريخي،**"**ورغم إستخدام **فوكو** للمنهج البنيوي إلاّ أنّه أخذ يشعر بنوع من الإهانة في تصنيفه ضمن البنيويين**"**[1]. فقد نفى علاقته بالبنيوية بقوله:**"**إنّ بعض المعلّقين الذين تنقصهم الفطنة في فرنسا يلّحون على إلصاق صفة البنيوي بشخصي، وقد عجزت أن أدخل إلى عقولهم الضيقة، إنّي لا أستخدم المناهج والمصطلحات الأساسية التي يتميز بها التحليل البنيوي**"**[2]. ورغم إستثمار **فوكو** لبعض المسلّمات البنيوية إلاّ أنّه قام بتجاوزها، فمنهجه **الأركيولوجي** مثلا ليس "منهجا بنيويا" وهذا ما صرّح به قائلا:

> إنّ موقفي من البنيوية موقف تجاوزي، رغم أنّني أدخلـــــت بعض التحليلات البنيوية،في ميادين لم تطأها بعد ويقصد هنا ميدان تاريخ الأفكار فأنا أتحدث عن البنيوية دون أن أمارسها وتجاوزي لها أنني لا أريد أن أتحدث عنها، دون أن أتحدث لغتها.[3]

ليست مهمّة **فوكو** نقل المنهج البنيوي فقط، الذي أثبت صحته في بعض المجالات التحليلية إلى ميدان المعارف وإنّما هدفه تبيان وعرض مبادئ ونتائج تحوّل يسري داخل ميدان المعرفة التاريخية . كما أنّ **فوكو** تربطه علاقة تباعد وتقارب بالبنيوية ، تباعد بما أنّه يتحدّث عنها دون أن يطبّقها مباشرة ، وتقارب بما أنّه لا يجـب أن يتـحدث عــنها دون أن

---

* **الواقع:** هو الموجود حقا والمتحقق في الأعيان من ناحية منطقية، الواقع يقابله الممكن والضروري ومن حيث إدراكنا الحسي للعالم الواقع يقابله الظاهر والوهمي وفي الميتافيزيقيا يمكن أن نميز مع ديكارت بين معنى الواقع ومعنى الوجود فالفكرة الحاصلة في الذهن إنما هي شيء واقعي على الرغم من أنها لا توجد وجودا مماثلا لوجود الأجسام المادية وعموما فالواقع يقابله اللاواقع والخيال.

[1] إديث كريزويل. عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، تر: جابر عصفور، ط1،(الكويت، دار سعاد الصباح، 1993)، ص 294.

[2] M. Foucault. Les Mots et Les Choses,(Paris, Gallimard, 1966) , p.,08

[3] Ibid., p., 212.

يتحدّث لغتها، لقد أضاف فوكو إلى **"منهجه الأركيولوجي"** المتميز عن "المنهج البنيوي" مسألتين الأولى منهجية:**"**وتتعلق بالمفهوم الوظيفي والتداولي للخطاب والتركيز على التحولات التاريخية»[1]، مع الإستعانة **بالجينالوجيا** وذلك عندما شرع في تحليل السلطة والذات، والثانية نظرية: فقد أعاد النظر في مسألتين هما الذات والتاريخ وهذا ما جعله ينتمي إلى **ما بعد البنيوية،** وما يدلّ على أنّ **فوكو** إبتعد عن البنيوية هو تخلّيه التدريجي عن فكرة القطيعة والاتصال مؤكدا على أهميّة التّحولات والتغيرات. وعليه نستطيع القول أنّ **فوكو** قد شرع منذ نهاية الستّينيات من القرن العشرين في الإبتعاد عن البنيوية، ولهذا الإبتعاد دلالته فقد عبر عن رفضه للبنيوية في كتابه أركيولوجيا المعرفة حين قال: **"**طيلة الكتاب وأنت تحاول جاهدا أن تبتعد عن البنيوية**"**[2]. فقد قدّم في كتابه هذا مقاربة جديدة لتحليل الخطاب، محاولا تقديم طريقة مغايرة للتحليل البنيوي، ثم تعمّق هذا التحول عن البنيوية عندما نشر كتابه نظام الخطاب الذي أضاف فيه **الجينالوجيا** بشكل صريح، إنّ طبيعة العلاقة التي تربط الفيلسوف **فوكو** بالبنيوية غامضة، كون الدراسات حول هذه المسألة تختلف فهناك من ينسب **لفوكو** صفة البنيوية وهناك من ينفيها عنه بشدة*، لكن ما يهم إثباته هو كون **فوكو** استقى فلسفته من العديد من المصادر المعرفية والبنيوية كانت أحدها، غير أنّه قام بتجاوزها بالرغم من كونها ألهمت كتبه الأولى التي ظلت دون مستوى طموحه في التفكيك فقد أضلّت طريقه وشغلته لفترة ما،على أنّ هذا الابتعاد عن البنيوية سواء من حيث الموقف، أو التحليل، برّره الفيلسوف **فوكو** بإختياره وإنتماءه إلى "تاريخ العلوم"، هذا التاريخ الذي لقي صدى واسعا وأثرا كبيرا في الفلسفة الفرنسية، هذا التيار أسّسه في نظره أستاذه جورج كانغيلام*[3*4] Canguilhem حيث قال **فوكو**:

---

[1] زواوي بغورة. الفلسفة واللغة "نقد المنعطف اللغوي" في الفلسفة المعاصرة، ط1،(بيروت، لبنان، دار الطليعة، 2005)، ص ص 170-194.

[2] ميشيل فوكو. أركيولوجيا المعرفة، ص 180.

* لقد نشرت لفوكو مقالة جاءت تحت عنوان"البنيوية والنقد الأدبي" حيث يقرن فوكو البنيوية بمصطلح **الديكسولوجيا** ويعني بها فوكو الاختصاص الذي يهتم بالوثيقة كوثيقة وهي مهمة البنيوية من وجهة فوكو،أي تحليل الوثيقة كما هو بدافع داخلي، لقد جعل فوكو البنيوية تقابل وتساوي الديكسولوجيا وذلك لينأى بنفسه عن البنيوية فلجأ إلى الأركيولوجيا وإعتماده كمنهج، خاصة بعد أفول نجم البنيوية وإنهيارها كمشروع حاضر بقوة على المشهد الثقافي، للمزيد ينظر ميشيل فوكو" البنيوية و النقد الأدبي، تر: محمد الخماسي، مجلة العرب و الفكر العالمي، العـدد الأول، 1988، ص ص 15، 16 .

**جورج كانغيلام: إبستمولوجي فرنسي معاصر ولد سنة 1904 كان الفضل له في فهم فوكو لتاريخ العلم للمزيد ينظر ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ص 52 .

إنّني أفكر في أولئك الذين اهتمّوا بتاريخ
العلوم الذي شكل تقليدا معتبرا في فرنسا
من دون شك و ذلك من جهود **أوغست**
كونتوبخاصة الذين تحلّقواحول كانغيلام
الذي كان له الأثر الكبير في الجامعـــــة
الفرنسية الجديدة وأن معظم تلاميـــذه لم
يكونوا ماركسيين، فرويديين، بنيويين،
وهنا فإنّي أتحدّث عن نفسي إذا شئتم[1].

د- المناهج التي تأثر بها فوكو:

1- المنهج اللساني: لقد اهتم **فوكو** بتحليل الألسنية* في كتابه الكلمات والأشياء حيث بين بأن فقه اللغة والأدب والألسنية وحتى جهود كل من نيتشه ومالارميه** Mallarmé تؤكد بروز اللغة وعودتها متحررة***،"في أواخر القرن التاسع عشر في نطاق فكر متجدّد"[12] . يحتوي كل الخطابات ويفسّر العالم تفسيرا جذريّا من خلال الكشف عن كل أسراره وخفاياه، يقول **فوكو**: "يدّعي فقه اللغة إستنطاق الكلام للكشف عما يقال خلفه و من دونه،

---

[1] M.Foucault.Les Mots et Les choses. P.,383 .

* الألسنية أو علم اللسان، ظهر علم اللسان مع فارديناندي سوسير اللسان(La Langue) و الكلام (LaParole) فاللسان نسق يتجاوز الأفراد و يفرض عليهم فرضا و هو يملك منطقا داخليا خاصا له، كما أنه يتطور وفق قوانين معينة و تربط بين كل علامة من علامات اللسان بين دال (الصوت) و مدلول هو الفكرة أو المعنى المشار إليه بالصوت و يقوم هذا الربط على التواضع أو الاصطلاح و لقد كان لاكتشاف البنى اللغوية و اللسانية تأثير عظيم على العلوم الإنسانية التي استنبطت منها منذ أعمال ليفي ستروس نزعتها البنيوية المتجلية مثلا في كتابات المحلل النفساني لاكان وفوكو، للإطلاع أكثر ينظر جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية، المادة: الألسنيّة .

** مالارمية: شاعر فرنسي شهير من وراد الرمزية في الشعر (1848– 1898) .

*** لقد بحث فوكو في كتابه الكلمات و الأشياء عن ماهية اللغة و الا يمكن ذلك حسبه دون ممارسة التحليل التاريخ عبر مختلف العصور، ففي عصر النهضة قاد التشابه في جزء كبير تفسير النصو و تأويلها فليس هناك بين اللغة و اشياء و أصبحت اللغة كباقي أشياء العمل أما في العصر الكلاسيكي إختفت اللغة في كلمة أخرى هي الخطاب. لقد حل التصور أو التمثيل مكان التشابة و الخطاب مكان اللغة و أصبحت تتشكل منقسمين دال و مدلول، اما في العصر الحديث فكف التمثيل عن أداء دوره المعرفي و الخطاب عن دوره اللغوي و حل محله نحو العام و فقه اللغة من خلال منظومة الإعراب، هكذا تغير وضع اللغة في القرن التاسع عشر مقارنة بوضعها في قرن العصر الكلاسيكي حيث أصبحت منطوية على نفسها و إكتنسبت عمق ذاتيا و أصبحت تدرس ضمن النحو المقارنة و الذي يعالج اللغات وفقا تزامنية كاملة و خارج كل تسلسل زمني و ذلك بسبب تساوي اللغات من حيث الأمية و القيمة .

[2] ميشال زكرياء. الألسنية. علم اللغة الحديث. المبادئ والأعلام، ط2 ،(بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية الدراسات والنشر،1985)، ص 31.

وتدّعي الألسنيّة السيطرة على كلام محتمل وإخضاعه للقوانين التي تنصّ على ما يمكن قوله"[1]. كما أنّ المحاولة البارزة التي حاول فيها **فوكو** تطبيق بعض عناصر المنهج اللّساني تتجلّى في كتابه ميلاد العيادة فقد قام بدراسة الممارسة الطبيّة في العصر الكلاسيكي من خلال لغتها وكيفيّة اشتغالها،" وحاول رصد اللّحظة التي أدّت إلى ظهور الخطاب الطبي الحديث كخطاب يملك نمطا من المعقوليّة خاصة به"[2]. ولقد أكدّ **فوكو** على أهمية اللسانيات البنيوية في" تشكيل المنعطف اللغوي ومحاولة الخروج منه عبر مفهومه للخطاب"[3]. حيث يقول:

> إنّ أهمية اللّسانية و تطبيقها على معرفة الإنسان تعيد بإلحاح لغزي طرح إشكالية كينونة اللّغة التي سبق و رأينا مـــــتدى إرتباطها بالإشكاليات الأساسية في ثقافتنا، وهي إشكاليــة يزيدها ثقــلا الاستعمـــال المتزايد للمقولات اللسانية، إذ يجــب من الآن فصاعدا التساؤل عما يجب عليـــه أن تكون اللّغة، حتى تبني مالم يكـــن في ذاته مع ذلك كلاما ولا خطابا من أجـــل أن تتمفصل على الأشكال البحتة للمعرف[4].

ما يشير إليه **فوكو** هو المساهمة الكبيرة التي قدّمتها اللسانيات البنيوية، من خلال بلورتها لتصور جديد عن اللّغة. هاته الأخيرة التي كانت بمثابة الموضوع الحقيقي والوحيد للدّراسات الألسنية، حيث كان ينظر إليها كواقع بذاته ويبحث في ذاته، ولا تحتاج إلى أي عنصر خارجي لتحديدها، وتعتبر اللّغة على هذا الأساس نسقا من الوحدات الصوتية تربطها علاقات تقوم على أساس الإختلاف والتقابل، بعيدا كل البعد عن الذات المتكلّمة. فاللغة بنية داخلية مغلقة، أو نسق مغلق يحكمها نظام يستبعد أي علاقة مع أشياء العالم الخارجي " و على هذا الأساس تكــون اللغـــة نظاما لا يعرف إلا نظامـه الخاص

[1] ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء، ص 342.

[2] عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ص 83.

[3] زواوي بغورة، الفلسفة واللغة. نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، ص 144.

[4] ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء، ص 471.

بتعبير **دو سوسير"(1857-1913)**[1]. لم يقف إعجاب **فوكو** باللسانيات البنيوية كما جاء به **دو سوسير** من تعديلات وتطوّرات في مجال اللّغة. فقد تأثر بأبحاث **ليفي ستروس** الذي إنطلق من فرضية أنّ المظاهر المختلفة للحياة الإجتماعية والثقافية يمكن إعتبارها **"**ظواهر تقترب طبيعتها من طبيعة اللّغة، إن لم نقل أنّها هي ذاتها**"**[2]، كما صرّح أنّ أهمية **جاك لاكان** لا تتأتّى من كونه أظهر خطاب المريض وأعراض عصابه، أنّ المتكلم ليس الشخص،**"**بل البنيات اللّغوية ونسق اللّغة ذاته**"**[3].

2- الأنثولوجيا والتحليل النفسي:

ولم يستلهم **فوكو** فلسفته من المنهج اللساني فقط بل كذلك من الأنثولوجيا* والتحليل النفسي**، اللذان كان لهما أثر كبير على فكر **فوكو**، فهو يشيد بأهميتهما، ولا ترجع هذه الأهمية حسبه لكونهما يشقّان الطريق لإكتساب الصفة العلمية والدقة، التي لم تصل إليها العلوم الإنسانية بل لكونهما إقتحما كل الميادين والمعارف بمفاهيمها ومناهجهما. فهما يهدفان في نظره إلى نقد ومعارضة ومساءلة كل المعارف، التي ظلّت ثابتة ونهائية في جميع المجالات، وبالنسبة إليه "التحليل النفسي" وظيفته نقدية بحتة داخل العلوم الإنسانية، فهو يحاول أن يكون خطاب اللاّوعي ويتناول الإنسان في إستلابه بوصفه ذاتا مغايرة لنفسها، ويعتمد أسلوبا خاصا في كشف العمليات العقلية اللاّوعية، أما الأنثولوجيا فتهتم بالشعوب التي لا تاريخ لها، يكاد يكون بعيدا عن تناولنا، وتبحث عن ثوابت البنية، قصد الوصول إلى المعايير والقواعد والأنساق الموجودة وراء التمثلات.

---

[1] فرديناند دوسوسير، دروس في الألسنية العامة، تر: محمد القرماوي. محمد الشاوش. محمد عجينة، بدون طبعة، (ليبيا، طرابلس، تونس، الدار العربية للكتابة، 1985)، ص 10.

[2] عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ص 134.

[3] ميشيل فوكو، همّ الحقيقة، ص 154.

* **الأنثولوجيا:** هو علم الأجناس البشرية وخصائصها وأخلاقها وتفرقها.

** **التحليل النفسي:** منهج للعلاج النفسي ذهب إليه فرويد ويقوم على تفسير مواقف عند المريض بطرائق متعددة كتداعي المعاني وتحليل الأحلام. ويرمي إلى استكشاف الذكريات النفسية والرغبات المكبوتة ونقلها من العقل الباطن إلى منطقة الوعي. ينظر: إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، (القاهرة، مصر، مجمع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983)، المادة: التحليل النفسي.

يقول **فوكو:** "إنّ ميزة الأنثولوجيا و التحليل النفسي كونهما ليستا قادرتين على الإستغناء عن مفهوم الإنسان فحسب، بل لا يمكنهما اللّجوء إليه، لأنّهما تتوجّهان دوما نحو ما يشكّل حدوده الخارجية "[1]. ويشير **فوكو** إلى أن كلاّ من التحليل النفسي والأنثولوجيا لا يندرجان ضمن العلوم الإنسانية، لكن مفاهيمهما إقتحمتا ميدان العلوم الإنسانية، فلا يمكن لأي علوم الإنسان أن يضمن أنّه مستقلّ عنهما ومتحرّر منهما، فهما علوم مضادّة لعلوم الإنسان، كونهما تخترقان حقول جميع المعارف في الإتجاه المعاكس لتقدمهما من أجل بلوغ الحدود القصوى للأرضيّة الخفيّة التي جعلت تلك العلوم ممكنة. ويضيف **فوكو** قائلا: "إنّ هدف هذين العلمين هو تفكيك الإنسان الذي يصنع في العلوم الإنسانية ويعيد تركيب موضوعيته"[2].

يتضّح من خلال ما تقدم أنّ **فوكو** يعترف بإعجابه وتأثره بكل المجهودات التي تبذلها هذه الإتجاهات الثلاث، فإقتداء باللّسانيات التي أوْلت أهمّية كبرى للنّسق، وعلى خطى التّأويل الجديد لنظرية التحليل النفسي،"وإسترشادا ببعض أطروحات **"ليفي ستروس"** سيعمد **فوكو** على إكتشاف النّسق الذي يحكم نشأة المعارف، إستنادا للمنهج الذي إكتشفه وأطلق عليه مصطلح **الأركيولوجيا"**[3].

2/الميادين التي إهتم بها فوكو:

أ/ الفلسفة: يولي فوكو أهمية كبرى للفلسفة،"إنّها بالنسبة إليه لم تعد نشاطا نظريا موسوعيا يضبط المعاني النهائية والغائية للوجود والممارسة البشرية، بل أصبحت إستراتيجية تشخيص وتفكيك ونقد"[4]. ويتّضح لنا من خلال هذا أنّ مهمّة الفلسفة أصبحت مهمة نقدية، ترمي إلى تحقيق نقد أركيولوجي، حيث ينصب هذ النقد على كل الممارسات الخطابية. وعلى كل ما ظلّ ثابتا وقارا في الفلسفة، يقول **فوكو** في هذا السياق:

لقد مّرت تلك الحقبة الكبرى من الفلسفة المعاصرة،

---

[1] ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء، ص 414.

[2] المصدر نفسه، ص 415.

[3] عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ص 127.

[4] السيد ولد أباه، التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، ط1 ،(بيروت، لبنان، دار المنتخب العربي، 1994) ص 104.

حقبة سارتر وميرلوبونتي حيث كان على نص فلسفي
أو نص نظري ما أن يعطيك في النهاية معنى الحياة
والموت، ومعنى الحياة الجنسية، ويقول لك هل الله
موجود أم لا،لقد تكون لدي انطباع بأنه لم يعد ممكنا
اليوم الترويج لمثل هذه الفلسفة،وبأن الفلسفة قد تكون
في حالة تشتت إن لم تكن قد تبخرت وبأن ثمة عمل
نظري يغلب عليه طابع التعدد، و هكـــذا فالنظرية
والنشاط الفلســفي يظهران في ميادي ـــن مختلفة تبدو
وكأنها منفصلة عن بعضها البعض[1].

يوجّه **فوكو** من خلال قوله هذا نقدا لاذعا للفلسفة بثوبها التقليدي، فهي حسبه لم تأت بجديد فهي مجرد تكرار وتجميع، فالتقليد الفلسفي يغلب عليه طابع التعدّد والإختلاف وهذا ما دفع **فوكو** إلى السعي نحو تغيير مجرى السؤال التقليدي، ليفتح المجال لأسئلة جديدة تسهم في الكشف عن حقيقة الذات عبر ممارساتها. وهو ما جسّده في كل كتاباته من تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي والمراقبة والعقاب إلى تاريخ الجنسانية، فمواضيع هذه الكتب لم يخض فيها الفلاسفة من قبل فقد كانت مسكوتا عنها وغير قابلة للنّقاش،لقد أراد **فوكو** أن يؤسّس **"** لفلسفة هادفة تمنحنا قيما تمكننا من الإطاحة بكل ما هيمن من صور وقناعات قدمت على أنها حقائق نهائية، وذلك من أجل إعادة تعديل كل المناهج السابقة وصوغ التفكير بأساليب مغايرة وبأشكال مختلفة**"**[2].ما يهمّ **فوكو** هو هدم الحدود التي كانت تفصل المواقف الفلسفية بالدرجة الأولى، بإدخال أسئلة جديدة وإعادة بناء الفلسفة من خلال نقد كل التراث الفلسفي السابق، وهذا كله لا يتمّ إلاّ بإدخال مفهوم الأشكلة الذي يسمح بضبط علاقة البشر بالحقيقة من خلال الممارسات الخطابية، ويبّين **فوكو** مفهوم الأشكلة في قوله: **"**أرى أنّ العمل الذي يجب القيام به هو عمل الأشكلة

[1] ميشيل فوكو، همّ الحقيقة، ص 25.

[2] برنهارد تاورك، "ميشيل فوكو مراكز تشكل الذات المعرفية"، تر:أسامة الشحماني، مجلة الثقافة الأجنبية،العدد الأول،نوفمبر2011، ص 06.

وإعادة الأشكلة دوما فما يجمد الفكر، هو التسليم ضمنا أو صراحة بشكل معين من الأشكلة والبحث عن حل يمكن أن يحل كل الذي نقبله**"**[1].

يخلص **فوكو** إلى أنّ مفهوم الأشكلة هو المفهوم المشترك بين كل دراساته، فقد عالج في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي أشكلة الجنون في لحظة معينة وعبر ممارسة مؤسسية معينة أمّا في كتابه الرقابة والعقاب كان الأمر يتعلق بأشكلة الروابط بين الانحراف والعقاب عبر مؤسسات جنائية، أمّا في كتابه تاريخ الجنسانية فقد عالج أشكلة النشاط الجنسي، يوضّح فوكو مرة ثانية مفهومه للأشكلة كما يلي:

> ليس معنى الأشكلة هو تمثل موضوع سبق وجوده ولا إبداع موضوع لا وجود له عن طريق الخطاب وإنّما تعني مجموع الممارسات الخطابية، أو غير الخطابية التي تقوم بإدخال شيء ما في لعبة الحقيقي والزائف، وتشكله كموضوع للفكر،سواء كان ذلك على هيئة تأمل أخلاق،أوعلى هيئة معرفة علميةأو تحليل سياسي[2].

يتّضح لنا أن ما يميّز الأشكلة في نظر **فوكو** كونها لا تعيد إجترار المواضيع التي سبق وأن خاض فيها الفلاسفة فيما مضى، بل هي تعنى بدراسة جميع الممارسات الخطابية التي تضيف معنى جوهريا على تاريخ الفكر، وتساعد على رسم مسار تشكل الحقيقة، وذلك يظهر من خلال تعريفه للفلسفة**"**بوصفها نشاط تشخيصيّا، معنى أن يشخص المرء الحاضر معناه أن يقول ما هو الحاضر، أن يقول فيما يختلف حاضرنا إختلافا جذريا عن كل ما عداه أي عن ماضينا ولربما كانت هذه هي المهمة الموكولة إلى الفلسفة الآن**"**[3].

إنّ الفلسفة بالنسبة إلى **فوكو** تقع في صميم التاريخ، وليس إهتمام **فوكو** بالتاريخ إهتمام المؤرخ الذي يجوب على السطح، والذي يشتغل في ربط الأحداث التاريخية، ومحاولة إعطائها طابعا كليّا وإضفاء الصبغة الغائيّة والعليّة والتقدميّة. إنّ عمل **فوكو** في التاريخ هو

---

[1] ميشيل فوكو، همّ الحقيقة، ص 94.

[2] المصدر نفسه، ص 101.

[3] حيدر ناظم محمد، إشكالية الفلسفة من النقد الأركيولوجي إلى الإيداع المفهومي، قراءة في فلسفتي ميشيل فوكو وجيل دولوز، ط1،(الجزائر، دار إبن النديم للنشر والتوزيع، 2015)، ص 96.

عمل الباحث المتفرّد المتجدّد، الذي يحاول أن يضفي على الحقيقة صفة المصداقية، ففي نظره **"**نحن نعيش في مجتمع يسير بمعظمه نحو الحقيقة، في مجتمع ينتج وينشر خطابا، همه هو الحقيقة لذلك وجب علينا التأريخ للحقيقة**"**[1].

ب- التاريخ: حظي ميدان التاريخ أهمية بالغة لدى **فوكو** في العصر الحديث، لاعتقاده أنّه يوفّر النقاط التي تمكّنه من رصد جينالوجيا راهيتنا، أي فهم الحاضر الذي نعيشه من خلال الرّجوع إلى أصول تشكله وأسبابه، أي محاولة البحث عن حلول لمشاكل نعيشها في حاضرنا، ومن خلال مساءلتنا للحاضر نستطيع أن نعثر على علامات تبشر بوقوع تغيير في المستقبل.ينظر **فوكو** إلى التاريخ إنطلاقا من مفهوم الإنفصال، حيث يعرفه- الإنفصال - بقوله:

> هو أداة بحث وموضوعه في نفس الوقت، يعين حدود الحقل الذي يتولد فيه، ويسمح بتعيين تفرد الميادين،التي لا يمكننا تحديده إلا بفضل المقارنة بينهاولأنه في نهاية الأمر ليس مجرد مفهوم قائم حاضر، في خطاب المؤرخ، بل يفترضه هذا الأخير وينطلق ضمنيا من أنه قائم وإلا فمن أي موقع يستطيع أن يتكلم، إن لم يكن إنطلاقا من الإنفصال، الذي يمده التاريخ كموضوع وتاريخه هو[2].

لقد أصبح مفهوم الإنفصال لدى **فوكو** من أهمّ المفاهيم التي تستخدم في مجال العلوم التاريخية، بعد أن كان يشكّل في الماضي عقبة وجب على المؤرخ تجاوزها، وأهميته تعاظمت بسبب إشتماله على جملة من الخصائص،**"**تتمثل في كونه أداة بحث للتاريخ عامة وتاريخ العلوم خاصة، وكموضوع للتاريخ، إذ أنّ التاريخ ليس تاريخ إستمرار وتسلسل فقط، بل تاريخ إنقطاعات وإنفصالات**"**[3]. يلعب مفهوم الإنفصال في البحث التاريخي الجديد حسب **فوكو** دورا ثلاثيا: فهو أولا: مبتغى المؤرخ وضالته ولم يعد شيئا تفرضه عليه المادة التي يدرسها، ثانيا: الإنفصال واقع لا يستطيع التاريخ نفيه، ثالثا: إنّه أيضا مفهوم ما

---

[1] ميشيل فوكو، همّ الحقيقة، ص 41.

[2] _____ ، اركيولوجيا المعرفة، ص 10.

[3] زواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص 190.

عمل المؤرخ يحدّده،" ويعني التحديد هنا، أن المؤرخ يمنح للإنفصال صورته، ووظيفته حسب الميدان واللذين يعينهما له"[1].يدعو **فوكو** إلى"ضرورة الحذر من الإستمرار التاريخي الزائف"[2]. ويحاول جاهدا إبراز تعدد الإنفصالات في تاريخ الفكر، يقول فوكو:

> لم يعد بمقدور التاريخ في ثوبه الكلاسيكي، أن يلغي مفهوم الإنفصال، ويقصيه، من أجل أن يبرز إتصال الأحداث،إن أهم ما يميّز التاريخ في ثوبه الجديد،ذلك التحول الذي أصاب مفهوم الإنفصال حيث أصبح من أهمّ المفاهيم المركزية التي يعول عليها لفهم التاريخ[3].

يرى **فوكو** أنّ التاريخ في ثوبه التقليدي يسعى لإستبعاد مفهوم الإنفصال، كونه يقلّل من قيمة القراءة التاريخية، وذلك فقط من أجل أن يحل محلّه الإتصال، فالإنفصال في نظره معطى، لكنه غير قابل لأن يفكّر فيه، لأنّه يظهر في صورة أحداث مبعثرة، فإنفصال الأحداث كان علامة التشتت الزماني، الذي كانت تلقى على عاتق المؤرخ تبعات حذفه من التاريخ، لكن مفهوم الإنفصال اليوم أصبح من أهم الضرورات اللازمة لقيام الخطاب التاريخي العلمي. إنّ ما يرفضه **فوكو** عامة في التحليل التاريخي الإستمراري، هو السّعي إلى البحث عن قنوات الإتصال والإستمرار بين المفاهيم والأفكار والأبنية والسعي إلى تحديد الغرض أو الغاية التي إنعقدت حولها خلال حقب تاريخية متعاقبة، أفكار وآمال المفكرين على الرغم من تنوع مذاهبهم، وتضارب مناهجهم،" كما يرفض الإنكباب على تحديد الكيفية التي تم بها إنتقال المؤثرات منذ إنشائها من مصادرها الأولى، وحتى إكتمالها في غاياتها الأخيرة وهي غايات لا تتحقق"[4].

إنّ القضية بالنسبة إلى **فوكو** قضية تحولات تلغي الأسس القديمة لتحلّ محلّها أسس جديدة، فلا يصبح هدف عملية التحليل التاريخي هو التوصل إلى إقامة جسور بين الماضي والحاضر، بحيث تنظم عمليات مختلفة أو متباينة في أفق متصل واحد، وفي

---

[1] سالم يفوت، الزمان التاريخي. من التاريخ الكلي إلى التاريخ الفعلي، ط1، (بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1991)، ص 52.

[2] بول فاين، أزمة المعرفة التاريخية فوكو وثورة في المنهج. تر: إبراهيم فتحي، ط1 ،(الأردن، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1992)، ص 247.

[3] ميشيل فوكو، أركيولوجيا المعرفة ،ص 11.

[4] محمد على الكردي، نظرية المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، بدون طبعة، (الإسكندرية، مصر، دار المعارف الجامعية، 1992) ص 56.

مجال عمل واحد وإنطلاقا من هذا ميّز **فوكو** بين نوعين من التاريخ: تاريخ شامل: هدفه السعي إلى إستعادة الصورة العامة لحضارة ما، ولم يكن هدفه يتعدى كونه يعيد بناء الماضي من أجل الكشف عن حقيقة تتوارى خلف الوثائق التاريخية، فليس هذا هدف المؤرخ الحقيقي أن يجعلنا نعيش من جديد الحدث السابق. **"** كما أنّ الموضوعية التاريخية تكمن في نبذ مطابقة الماضي وتهدف إلى ضرورة إعادة وتركيب وربط العلاقات الداخلية والخارجية، يرفض **فوكو** هذا النوع من التاريخ ويقر بحتمية زواله وإندثاره**"**[1]. أما النوع الثاني، من التاريخ يدعوه **فوكو**: تاريخ عام: حيث يقيم السلاسل والحدود وليس هدفه تقديم موضوعات عامة**"**بل هدفه معالجة سلسلة من الوثائق المتشابهة والمتجانسة**"**[2]. وخاصّة بموضوع محدّد في حقبة ما ودراسة العلاقات الخارجية والداخلية لهذه الوثيقة وصياغة قانونها.

يرفض **فوكو** التاريخ التقليدي للأحداث الكبرى من حروب ومعاهدات وإتفاقيات، فنجده يهتم بالمستويات التاريخية الدقيقة التي تترك في الظل كهامش لا يتمتّع بأي وجود حقيقي كتاريخ الجنون، فالجنون كان ظاهرة غامضة نظر إليها المجتمع كآفة إجتماعية، ومارس عليها مختلف آليات القمع والإبعاد ولم يكن يساوي المجنون شيئا في المجتمع بل كان مغيبا نهائيا، لهذا حاول **فوكو** جاهدا لرد الإعتبار له حيث نادى بضرورة عدم المساس بحقوقه وحريته، كونه يعد بالرّغم من حالته إنسانا يتمتع بكل إنسانيته،**"**فالحدث بالنسبة إليه لا يقاس بما يحمله من معنى أوأهمية بل بمكانته في القوة الاجتماعية**"**[3] وهذا ما جعل **بول فين** يشيد بعظمة **فوكو** الفكرية وتفانيه الفلسفي قائلا: **"**إنّ فوكو هو المؤرخ البحث في الحالة النقية فكل شيء تاريخي والتاريخ بأكمله قابل للتفسير ويسعى للتحرر من كل الألفاظ الدالة على المذهبية، إن مؤلفنا أزال أنقاض الأخيلة الميتافيزيقية والمشاكل الزائفة**"**[4].

---

[1] ميشيل فوكو، أركيولوجيا المعرفة، ص 12.

[2] سالم يفوت، المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر، ط1 ،(بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1999)، ص 18.

[3] تشارلز ليمرت، "حقل فوكو"،تر: خالدة حامد، مجلة أفق، ص 03،من الموقع الالكتروني :
http://208.185.82.137archive02/aqwas26-la.htm

[4] بول فاين، أزمة المعرفة التاريخية. فوكو وثورة في المنهج، ص 248.

تأثير الأوضاع السياسية على المسار الفكري لميشيل فوكو:

لقد شهد عام 1968 إندلاع ثورة سياسية،هزّت أوساط العالم الغربي،جاءت كنتيجة لتراكمات فرضتها ظروف محلية ودولية مهمة،على كل المستويات والأصعدة السياسيّة منها والإقتصاديّة وحتى الفكريّة والتعليميّة، فعلى المستوى السياسي سادت حالة من التضيّيق السياسي بسبب قهر وتقييد الحريات من قبل السلطة، بالإضافة إلى التضيّيق على المفكرين والأدباء بحجّة الأمن وحماية الدولة ومبادئها، أمّا على المستوى الإقتصادي فقد دخلت الدولة في حالة تقشف، بسبب وقوعها في أزمة اقتصادية، تفشت جرّائها البطالة والفقر مما إنعكس سلبا على وضعية العمال اللّذين تعرضوا لشتى طرق الاستغلال والقهر على يد الطبقة الحاكمة، التي كانت تعتبر المسيطرة الأول على وسائل الإنتاج، حيث تقوم بتنظيم حياة الناس في ظل نظام سياسي إستبدادي، وكان همها الأساسي تحقيق أغراض ومطامع شخصية من أجل بلوغ الرفاهية والإزدهار على حساب مستوى معيشة الأفراد. ومن خلال هذا يتّضح أنّ العدالة الاجتماعية لم تكن متوافرة للحد الذي يزعمه أتباع النّظام، فالهوّة كانت سحيقة بين الطبقة العمالية التي كانت تجتهد لتنتج ثروات البلاد، وبين الطبقة البرجوازية التي تكتفي بجنيها وتكديسها.

كل هذه التضيّيقات دفعت إلى قيام ثورة ماي 1968 التي قام بها مجموعة من الطلاب يحلمون بالتغيير و الإنعتاق من أشكال الظلم والقهر، فلم يكن هدفهم لا سياسيّا ولا إقتصاديّا بل إنسانيّا، فقد عبّرت بكل مصداقيّة عن آلام ومعاناة كبيرين، لكن تضحياتهم لم تذهب سدى، فقد قلبت النظام وغيّرت الموازين، فقد كشفت الماركسية عن حقيقتها فتبدّلت محدوديّتها كنظرية إجتماعيّة وسياسيّة، ومن ثم أجرت السلطات الفرنسية العديد من الإصلاحات على المجتمع بعد تلك الثورة، أمّا على مستوى النظام الجامعي والبرامج التعليمية والمناهج، فقد تم تجديدها وإصلاحها، والأهم من هذا أن هذه الثورة قد ساهمت في خلق مناخ فكري وثقافي جديد حيث تضائل التضييق السياسي و الفكري، و إستطاع المفكّر أخيرا أن يخوض في بعض المواضيع التي كانت مقيدة و محرمة. لقد ثارت هذه

الثورة ضدَّ كل السلطات التي تعتدي على حقوق المواطنين من أجل تحقيق المطامع والمصالح. هذا السعي إلى التجديد أثار إعجاب الكثير من الفلاسفة خاصّة **ميشيل فوكو** فقد ساهمت هذه الثورة في توسيع مداركه الفكرية، فقد وجد فيها متنفسه الفلسفي، حيث خلقت وعيا حاد المفاهيم لم تكن متداولة من قبل، كالجنون، والسلطة،و هذا بعد التضييق الفكري فقد كانت هناك حسب تصريح **فوكو "**طريقة واحدة في التفكير، وأسلوب معين في الخطابات السياسية والأخلاقية لا يجب تجاوزها وتخطيها"[1].

لقد أعطت"هذه الثورة لأعظم القيم الثقافية بعدا جديدا"[2].حيث نادت بفتح أبواب مستشفيات المجانين، والسجون، والكليات، وهذا ما فتح **لفوكو** آفاقا جديدة، لبلورة مشروعه الفكري، الذي كان خطابا يدعو بالدرجة الأولى الأقليات والمهمشين والمنحرفين جنسيا.هذا التفتح السياسي الذي شهدته تلك الفترة كشف **لفوكو** القناع عن العديد من المؤسسات التي كانت تمارس القمع، فقد إستطاع إنطلاقا من تأثره بأحداث ماي 1968 وإنعكاساتها أن يقوم هوالآخربثورة أخلاقية فكرية لإعادة الإعتبار للامفكر فيه والمهمش.

لقد لاحظ **فوكو** أنّ مسألة السلطة كانت حكرا على بعض المؤسّسات والجهات، ولا يحقّ لأحد الخوض فيها أو مسائلة مبادئها وقوانينها، ويؤكدّ ذلك في قوله:

> إنّ ماحاولت القيام به في هذا الميدان أستقبل بصمت كبير، في أوساط التيـار الفرنســي المثقف وأنه فقط حوالي 1968 وبالرغم من التقليد الماركسي أخذت هذه الأسئلة دلالتهـا السياسية[3].

إرتبطت أثار السلطة حسب فوكو بالماركسية، ففي جامعة فنسان*Vincennes على سبيل

---

[1]-M.foucault," Présentation de l'Edition Américaine de l'anti oudipe",un introduction à la vie mon fasiste, magazine littéraire , n°257,septembre,1988,p,42.

[2]محمد الشيخ،المثقف والسلطة دراسة في الفكر الفلسفي المعاصر،ط1،(بيروت، لبنان،دار الطليعة ،1991)،ص ص 91،92.

[3] ميشيل فوكو، نظام الخطاب ،ص73

*فنسان، كانت هذه الجامعة بمثابة مركز للحركة الطلابية عام1968، وفي هذه الجامعة تولى ميشيل فوكو رئاسة قسم الفلسفة.

المثال،"لم يكن من الممكن القول بصوت عال لست ماركسيا"[1]. فالحزب الشيوعي وهو في السلطة كان يهيمن على جهاز الدولة، وأصبح البلد بهذا مستعبدا من طرفه، هذه الحقيقة التاريخية العميقة كانت سببا في تخلّي **فوكو** عن الماركسية، حيث أصيب بخيبة أمل كبيرة في أجهزة السلطة خاصة وفي المصير المجهول الذي خلفته الحضارة المادية الصناعية عامة، من هذا النقد الذي كانت نتيجة لتأثره بتلك الشعارات التي نادت بها الثورة، خلص **فوكو** إلى التحليل الجدي الوحيد الممكن للسلطة، وهو ما يدعوه بالضبط **جينالوجيا السلطة** فهي جينالوجيا لم يكن من الممكن بناؤها، إلاّ بعد تمثّل روح ثورة ماي 1968، لأن من بين أهمّ قيم هذه الثورة في رأيه أنّها ركّزت على المقاومات اليومية التي تنشأ في القاعدة، من طرف أولئك الذين يحاربون في الحلقات الأكثر دقة من شبكة السلطة، هذه الحلقات يحدّدها **فوكو** في نماذج مثل مستشفيات المجانين، السجون، والمدارس.إنّ آلية السلطة لم تخضع للتحليل إلا بعد ثورة ماي 1968، حسب **فوكو** أي إنطلاقا من النضالات اليومية التي خاضها الأفراد بإستماتة، وذلك هو الموقع الذي ظهرت فيه السلطة مجسمة، وأظهرت فيه التحليلات خصوبتها في مراعاة أشياء ظلت إلى حد ذلك الوقت خارج مجال التحليل السياسي، ومن هذه الزاوية تعين على النظام السياسي أن يتوفر على آليات اشتغال ذات مقبولية عالية، بحيث تضمن سريان القانون وعدالته، وإنطلاقا من هذا لا يبني **فوكو** تصوره السُّلطوي الحديث في إطار القواعد العقلانية،**"**وإنّما يتكلم بالمقابل من خلفيّة الممارسة الفعلية وتجسده في الواقع الاجتماعي والثقافي وحتى القيمي المعياري"[2]. فما يهدف إليه **فوكو** يتمثّل في تأسيس فكر منهجي، يتخطى النظرة الليبرالية التي تنادي بالمفاهيم الدستورية، وكذا النظرية الماركسية التي تتصور السلطة كإحتكار طبقي.

لقد أوجدت هذه الثورة توازنا في تجربة **فوكو** السياسية، ودفعته للخوض في مواضيع لم يكن قد إستدركها في مجمل تأملاته الخاصة **"**مثل أهمية ممارسة السلطة، وخطوط

[1] ميشيل فوكو، ما التنوير، تر: زواوي بغورة، ط1 ،(الكويت، مكتبة آفاق، 2013)، ص 194.

[2] إبن داود عبد النور، المدخل الفلسفي للحداثة، تحليلية نظام تمظهر العقل الغربي، ط1، (بيروت، لبنان، الدار العربية للنشر، 2008)، ص 158.

تقاطعها مع الجنون"[1]. فقد إستطاع بقوة أن يعاين العلاقة بين الجنون والسلطة في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، حيث رأى أنّ السُّلطة تزُّج بالمجانين داخل السُّجون دون أدنى حق وتمارس قمعها وإضطهادها لهذه الشريحة من المجتمع التي تحتاج في الأصل للرِّعاية والاهتمام، فالأصل أن تقوم السُّلطة بتقديم حلول لمشكلاتهم بدل القيام بتفعيل عمليات السَّيطرة والتَّحكم.

لقد أصرّ **فوكو** فعلا على فحص الطرح الحداثوي لموضوع السُّلطة، قصد فضح تجاوزاتها التي هزت أركان الثقافة الغربية،**"**فقد برهنت الحضارة الغربية على حساسية مواضيع السياسة على صعيد النظرية الإجتماعية العامة"[2]. حيث تعتبر الأجهزة الكبرى للدولة، المسيطر الأعلى والموجه الأول لتحديد حقيقة الجنون وهوية المجانين، فبعد شيوع مسألة العقلانية الغربية زاد تسلط السلطة، بحجة أنها تبحث عن الأمن، وعن مؤيد من الإنضباط والإمتثال يقول **فوكو:"**مزية السلطة، خصوصا السُّلطة التي في مجتمعنا هي أن تكون قمعية، وأن تقمع بإنتباه خاصة الطرقات غير المجدية، والملذّات الحادة، وأنواع السلوك الشاذة"[3].ما نودّ توضيحه هو أنّ ثورة ماي 1968 كانت بمثابة المنبه الذي أثار **فوكو** اتجاه الممارسات التعسفية للسلطة ضد أفراد المجتمع عامة، والمجانين خاصة، فوضعية المجانين في العصر كانت وضعية مأساوية.

نستنتج مما تقدم أنَّه وبالرّغم من تأثّر **فوكو** بالعديد من المنطلقات والخلفيات الفلسفية كالفكر المنتقد للنزعة الإنسيّة وبعض أطروحات **نيتشه،** والبنيوية وغيرها مما ورد ذكرهّا،إلاّ أنه ليس مجرد مكرر لأفكار ولمناهج السابقين فقد جاء بمنهج جديد ومتميز هو منهج **الأركيولوجيا** الذي سمح له بتتبع ظاهرة الجنون و الكشف عن أسبابها بالاضافة إلى هذا سمح له المنهج الأركيولوجي بتوضيح طريقة تعامل السلطة مع ظاهرة الجنون ،

[1]-M. Foucault, "les aveux de la philosophie", (entretien), in le point, n° 1956, (01/07/2004).

[2]إبن داود عبد النور، المدخل الفلسفي للحداثة، تحليلية نظام تمظهر العقل الغربي، ص 161.

[3] ميشيل فوكو، المراقبة والعقاب، ص 164.

وفي هذا السياق يمكننا طرح السؤال التالي: ما هو مفهوم المنهج الأركيولوجي؟ وما هي الوظيفة التي أسندها **فوكو** إليه؟

مفهوم المنهج الأركيولوجي عند فوكو:

لقد إستعمل **فوكو** مصطلح **أركيولوجيا** للدلالة على منهجه الجديد لأول مرة في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، وإستعمله كعنوان فرعي في كتابه ميلاد العيادة أو أركيولوجيا النظرة الطبية. إنّ الأركيولوجيا فرع علمي يهتم بالبحث والتنقيب عن الماضي، حيث يدرس آثار الإنسان القديمة ويتفحص نتاجاته وبقاياه المادية وبالرّغم من إستخدام **فوكو** لتسمية الأركيولوجيا إلاّ أنّه يستعملها إستعمالا مختلفا كليا، قائلا:**"**لقد إستعملت هذا اللّفظ للدلالة على وصف الوثيقة، ولم أقصد به مطلقا إكتشاف بداية أو إعادة إحياء ماض ميت**"**[1]. ومن خلال تصريح **فوكو** نلحظ أنّه حاول نفي أي صلة تربطه بعلم الآثار، فهو لا يبحث في مجال المعرفة عن التراث الفكري والمادي الذي يميز حضارة ما، وليس همه بعث الماضي وإستعادته، يؤكد ذلك في قوله:

> إنّ لفظ حفريات لفظ لا يتضمن أي محاولة جري وراء البدايات، كما لا يقترن التحليل بأي تنقيب أو سبر جيولوجي، بل يدل على الفكرة الأساسية المحورية العامة، لوصف إستنطاق الما قيل في مستوى وجوده،و في وفي مستوى الوظيفة العبارية التي تمارس عليه، والتشكيلات الخطابية التي ينضوي تحتها. فالأركيولوجيا تصف الخطابات كممارسات محددة في عنصرنظام الاحتفاظ والظهور[2].

إنّ موضوع الأركيولوجيا بالنسبة إلى **فوكو** هو نظام الإحتفاظ والظهور، و يقصد به **فوكو** الأرشيف الذي حسب تعريفه:

لا يعني مجموع النصوص التي تخص

---

[1] ميشيل فوكو، "مفهوم الأركيولوجيا"، تر: الطاهر وعزيز. في مجلة المناظرة. مجلة فصلية الرباط، المغرب، بابل للطباعة والنشر، السنة الثانية، العدد4، ماي1991، ص،138.

* نشير في هذا السياق أن المنهج الأركيولوجي لم يستخدمه فوكو في كشف عن ظاهرة الجنون فقط، و إنما استخدم المنهج في مسائل أخرى نذكر أهمها: في الجنس، و العقاب و السجون.

[2] ميشيل فوكو، اركيولوجيا المعرفة، ص 122.

ثقافة حضارة ما وتوجد بحوزتها كوثائق تدل على ماضيها الخاص، كما لا أقصد به المؤسسات التي تعمل في مجتمع ما على حفظ و خزن خطاباته قصد اللجوء إليها عند الحاجة، بل ما يجعل عددا من الأشياء المقولة من طرف البشر منذ آلاف السنين،لم تظهر وفق قوانين التفكيروحدها أو نتيجة ظروف معنية، بل ظهرت نتيجة علاقات تميز المستوى الخطابي و تنتمي إليه[1].

ويتميّزالمنهج **الأركيولوجي** كونه يشتمل على العديد من الخصائص، أو بالأحرى المبادئ، فهو يعتمد أولا على الوصف كطريقة والأرشيف كموضوع، ثانيا لا يصف البدايات وتحليلاته ليس لها علاقة بالجيولوجيا، أي البحث عن خصائص الأرض من حيث تركيبها وتكوينها، ثالثا يرفض البحث عن الأصول ويعمل على إستنطاق الما قيل لوجود المنطوقات.

إنّ هدف المنهج الأركيولوجي وبشكل خاص، هو التخلّص من ثقل التاريخ التقليدي للأحداث،**"**فهو قادر في نظر فوكو على إبراز التمفصلات الخطابية وتعدديات أشكالها وآلياتها في المستويات التاريخية"[2].ولا يكتفي بالوصف والتحليل، بل مهمّته الكشف عن الممارسات الخطابية في فترات زمنية معينة.يقول **فوكو**:**"**لا تسعى الأركيولوجيا إلى تحديد الصور والتمثلات والموضوعات الأساسية، التي تختفي وتظهر في الخطابات، ولكن تعنى بالخطابات ذاتها من حيث هي ممارسات تحكمها قواعد معنية**"**[3]. يقصد **فوكو** من خلال قوله هذا أنه قد تخلى عن دراسة الخطاب، الذي يشتمل على مجموعة من العلامات والإشارات، التي تدّل على مضامين وتمثّلات مصدرها الذات، فهو بهذا يلغي دور الذات الفاعلة، ويسعى جاهدا على أن لا يظهر منهجه كمبحث تأويلي، أي يبحث عن خطاب متخف وراء خطاب آخر، وأن لا يكون منهجه مبحثا مجازيا، يبحث عن حقيقة متخفية وراء حقيقة ظاهرة. ويؤكد **فوكو"** أنّ منهجه بعيد كل البعد عن الحكم والتأويل، فهو يرمي

[1]ميشيل فوكو، اركيولوجيا المعرفة ، ص 172.

[2]مطاع صفدي. الحداثة البعدية. من مقدمة كتاب ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء، ص 12.

[3]ميشيل فوكو، اركيولوجيا المعرفة، ص 129.

إلى إختراق التاريخ، والبحث ما تحت الأسس المقررة، حيث نتكشف كل الخطابات وتظهر حقيقتها"[1]. فالحفريات"هي ممارسة خطابية تكشف عن أنماط تكون الخطابات وتعاقبها وتشابكها وهوة الإختلاف التي تفصل بينها"[2].

إنّ هدف الأركيولوجيا بالنسبة إلى **فوكو** هو إكتشاف أسس ومنظومات المعارف، بعيدا عن الذاتية وتحليل الخطاب المعرفي، بدون الإحالة إلى أية فعالية مؤسسة، وتتمثل مهمة هذا المنهج الأركيولوجي أيضا في البحث عن أنماط النظام والتنظيم في المستويات العميقة للمعرفة والثقافة بعيدا عن حياة البشر وممارساتهم، لتشكل الخطابات بمنأى عن الذات وعن المعنى، وبهذا إستعبد **فوكو** كليا من حساباته الفلسفية، معاناة وآلآم البشر، وذلك فقط ليثبت أنّ النَّسق هو الذي يتحكم وينظم، ويعني" بالنَّسق مجموعة من العلاقات التي تثبت وتتغير في إستقلال الأشياء التي ترتبط بينها، فثمة قبل كل وجود بشري في نظر **فوكو** معرفة و نظاما توجب علينا اكتشافهما"[3] .

يقول **فوكو** عن نفسه أنه: "أول من برهن عن ترابط إبستمولوجي عميق، بين مختلف أنواع المعارف السائدة في فترة زمنية معطاة وفي عصر معين"[4]، وهو ما يسميه "الإبستمي" الذي يعتبر من أهم المفاهيم الأساسية، التي بنى عليها تحليلاته، في كتابه الكلمات والأشياء فاستنادا إلى هذا المصطلح الذي يعتبر موضوع منهج الأركيولوجيا، قام بتفسير المراحل الثلاث الكبرى للتاريخ الغربي، أي عصر النهضة ثم العصر الكلاسيكي، والعصر الحديث، ويعرّف **فوكو** الإبستيمية قائلا:

> إنّ ما تريد تبيانه هو الحقل المعرفي الإبستمي Epistémè حيث المعارف منظورا إليها خارج أي معيار يستند إلى قيمتها العقلية أو إلى صورها الموضوعية، تعزز وضعيتنا، وتظهرهكذا تاريخا، ليس تاريخ كمالها المتزايد، و إنما بالأحرى تاريخ شروط إمكانها، ففي هذا العرض ما يجب أن يظهر إنماهوفي داخل مدى المعرفة التشكلات التي ولدت

[1] مطاع صفدي، الحداثة البعدية. من مقدمة كتاب ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء، ص 19.

[2] السيد ولد أباه، التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو ، ص97.

[3] ميشيل فوكو، همّ الحقيقة، ص9.

[4] "من حوار له مع ريمون آرون" بعد صدور كتاب الكلمات والأشياء، عن مجلة الكرمل، العدد13، 1983، ص 13.

الصور المختلفة للمعرفة التجريبية[1].

يربط **فوكو** هنا **الإبستمي** بالمعرفة ففي نظره أن مفهوم الإبستمي يقابل حقل المعرفة، ولكن بشرط أن يعزل عن مجالها المعايير الفلسفية المألوفة والمتداولة، مثل المعيار الذي يستند إلى القيمة العلمية أو الأشكال الموضوعية، كما يوضّح**"**أنّ مهمّة الإبستمي مهمة تاريخية هدفها الكشف عن شروط إمكان ظهور المعارف وتشكلها في صورها التجريبية**"**[2]. كما هو الحال في دراسة التاريخ الطبي وتحليل الثورات في العصر الكلاسيكي، أو الإقتصاد السياسي والبيولوجيا في العصر الحديث، هذه الميادين هي الصور التجريبية للمعرفة. يقول **فوكو** في هذا الإطار: **"**إنّ النظام هو في الوقت نفسه ما يسري في الأشياء كقانونها الداخلي، هو ذلك السياج الخفي الذي تتناظر من خلاله الأشياء، وهو ما لا يوجد إلاّ من خلال شبك نظرة ما، أو إنتباه لغة**"**[3]، بمعنى أنّ الإبستمي نوع من النظام الذي يتحكم في المعارف، وهذا النظام يعتبر المبدأ الأوحد على المستوى العميق، لمكونات ثقافة ما في عصر معين، وهو الذي تنشأ عنه بالضرورة طرق تنظيم الأشياء وانتقاء التجارب، وهو الذي يعتبر كشروط إمكان لظهور الأشكال المعرفية والنظريات، ففي ثقافة كل عصر نظام خفي وصامت، يشكل طبقتها التحتية، والأرضية التي تتأسس عليها كل المعارف. **"**لكن أركيولوجيا **فوكو** هي الوحيدة القادرة على إستنطاق هذا النظام وتجعله ينكشف ويظهر**"**[4]. فمثلا قام **فوكو** من خلال منهجه الأركيولوجي بدراسة تشكل خطاب معرفي جديد عن الجنون في الحضارة الغربية هذا الخطاب هو نتيجة لنظام معرفي شامل أصبح ينبذ الجنون وينفيه ويستبعده.

يتميّز الإبستمي حسب **فوكو** بعدة خصائص ومميّزات جوهرية، كونه لا يحيل المعرفة إلى ذات عارفة (كما هو الحال عند ديكارت مثلا)، فهي تدرس مختلف الممارسات المعرفية بإعتبارها ممارسات تاريخية، كما أنّ الإبستمي ليس شكلا ساكنا

[1] ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء، ص 34.

[2] زواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص 181.

[3] ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء، ص 12.

[4] عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ص 144.

ظهر يوما ليختفي فجأة، بل هو مجموعة من الانقسامات والتفاوتات والتطابقات المتحركة بإستمرار، والدليل على ذلك تغير خصائص الإبستمي من عصر لآخر، فلكلّ من عصر النهضة والعصر الكلاسيكي إبستمي خاص به.

إنّ ما تدرسه الإبستمي حسب **فوكو** هو: **"**مجموع العلاقات التي بإمكانها أن توجد في فترة زمنية معينة، بين الممارسات الخطابية التي تفسح المجال أمام أشكال إبستمولوجية وعلوم**"**[1]. عند تحليل فوكو لمختلف الممارسات الخطابية يحاول تبيان مختلف العلاقات التي تحكم هذه الممارسات، والتشكلات الخطابية، ويبرز من خلالها مختلف العلوم والمعارف كالرياضيات والعلوم التجريبية مثلا.

نستنتج مما سبق ذكره وجود علاقة كبيرة بين **الأركيولوجيا والإبستمي**، في فكر **فوكو** إذ بواسطتهما تمكن من تحليل فكرة الجنون في العصر الحديث،**"**فالأركيولوجيا يكمن دورها في دراسة الشرائح المقصية والمنبوذة في حقبة زمنية معينة**"**.[2] أي إبستمي عصر معيّن، وإنطلاقا من هذا كان هدف **فوكو** هو الحفر والتنقيب عن أدق التفاصيل، التي تحيط بهذه الظاهرة، مستخدما في ذلك دراسة معمقة لمادة الأرشيف، التي اشتغل عليها وقام من خلالها بإستنطاق الأماكن المرتبطة بهذه الظاهرة وذلك فقط ليكشف آليّات الإقصاء والتعذيب التي كانت تمارسها السلطة على الجنون، وهو ما سنوضحه في الفصل القادم.

[1] ميشيل فوكو، أركيولوجيا المعرفة. ص 176.

[2] _____ ، نظام الخطاب، ص97.

الفصل الثاني:مفهوم الجنون وعلاقته بالسلطة

1 /مفهوم الجنون

أ/تعريف الجنون من الناحية الطبية

ب/مفهوم الجنون عند ميشيل فوكو

ج/الجنون عبر المراحل التاريخية عند فوكو

د/الجنون في العصور الوسطى

هـ/الجنون في عصر النهضة

و/الجنون في العصر الكلاسيكي

ز/ ردود فوكو على عقلانية ديكارت

2 /علاقة الجنون بالسلطة

أ/تعريف السلطة عند ميشيل فوكو

ب/نظرة السلطة للمجنون"العزل الأول وتأسيس المستشفى العام"

ج/الجنون والحيوانية

د/العزل الثاني "ولادة مؤسسة الطب العقلي"

هـ/ ردود فوكو على ممارسات السلطة ضد الجنون

1/ مفهوم الجنون

يعتبر الجنون ظاهرة غامضة، لم يتمكّن الإنسان من معرفة الأسباب الحقيقية لظهوره لذلك اختلفت التّفسيرات التي تحدّد ماهيته باعتباره مرضًا نفسيا، أو مرضًا عقليا،أو عضويا لذلك ارتأينا تقديم بعض النّماذج التّعريفية التي تحاول الإحاطة بهذه الظّاهرة وضبط مفهومها.

أ/ تعريف الجنون من الناحية الطبية:

يعني الجنون زوال العقل أو فساده، يستعمل هذا المصطلح في الطّب الشّرعي خاصّة و يفهم منه"إما أنّه النّقص العقلي الولادي، و إما أنّه زوال القوى العقليّة بعد وجودها بحيث يكون الشخص في الحالتين غير مسؤول عن أعماله"[1].و من أنواعه **الجنون الخُلقي folie morale** الذي يصيب الحالات و المشاعر و المزاج و العادات، و في هذا النّوع من الاضطرابات تنحرف و تفسد مبادئ الخلق و السلوك و يضعف ضبط النفس أو يزول. ويقترن الجنون بمصطلح **ذهان المرض العقليMaladie mentale psychotic** : الذي يعني اختلالا بليغا في القوى العقلية ويؤدّي إلى اختلال جميع وسائل التكيّف و التّوافق العقلي و الاجتماعي، و المهني و حتّى الديني، و إلى اضطراب كلّي في الشخصيّة مع فقد القدرة على الاستبصار، تطلق كلمة **ذهان** على الحالات النّفسية المنشأ. "أما المرض العقلي النّاشئ من إصابات عضوية فيستحسن تسميته **بالذّهان العضوي**"[2].و هو مرض عقلي يتميّز بإصابة عميقة في الشخصيّة يظهر بوجه الخصوص"باضطرابات في الدائرة المعرفيّة: إدراك، حكم، استدلال،و في الدائرة الوجدانية: مزاج، انفعالات. كان مصطلح الذّهان يدلّ في الماضي على الأمراض العقليّة كلّها"[3]. و لم يعد ينطبق بعد ذلك إلا على اضطرابات تصيب مجموع الشخصيّة، و الفرد في الذهان يكون على عكس ما يحدث في العصاب، لا يشعر بمرضية حياته النفسية و لا يمكنه أن يتكيّف مع الحياة الاجتماعية، و هو بهذا المعنى

[1] منير وهبة الخازن،معجم مصطلحات علم النفس،تقديم كمال الحاج، بدون طبعة،(الاسكندرية، مصر، دار النشر للجامعيين)، المادة: الجنون.
[2] المرجع نفسه، ص 121.
[3] نوبير سلامي، المعجم الموسوعي في علم النفس، الجزء الثالث، تر: وجيه أسعد، بدون طبعة،(دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، 2001)، المادة : الجنون .

غريب عن الواقع على وجه العموم. يظل **الذهاني** في حياته العلائقية، في أحاديثه و في عواطفه وفي أفعاله غير مفهوم من محيطه. وقد يقترن الجنون بمعنى الخبل، الذي يعتبر وهنا نفسيا تدريجيّا يتميّز بتشوّه الوظائف العقليّة الأخلاقيّة و الوجدانيّة، و باضطرابات التّصرفات الإجتماعيّة، "من حيث يتعذّر عليه أن يركّز انتباهه على عمل، أو أن يثبّت انتباهه، و هو عاجز عن المبادرة فاقد للتوجّه المكاني و الزماني"[1].

تجدر الإشارة إلى مسألة مهمة تتمثّل في انعدام مصطلح الجنون في بعض المعاجم الطبيّة،" كون كلمة جنون ليس لها دلالة طبيّة"[2]، والمصطلح السيكولوجي اللاّئق للاضطرابات العقليّة، النفسيّة، هو الذهان كما أسلفنا الذكر." أما الجنون فهو تعبير يستخدم إجتماعيّا و قانونيّا أكثر منه طبيّا يشير إلى حالة تجعل الإنسان في وضعية لا يتحمّل فيها تبعات سلوكه الإجرامي، و بذلك لا يمكن محاكمته"[3].من أنواعه : **جنون إياسي** يتميّز بإكتئاب قلق يظهر في فترة انقطاع الطمث، و **جنون قهري** يصبح فيه المريض تحت السيطرة التّامة، لأفكاره الموسوسة.

ب/مفهوم الجنون عند ميشيل فوكو:

يعرّف الجنون بأنّه الخلل العقلي الشديد و زوال العقل أو فساده، و معناه لا يخلو من الالتباس فهو لفظ عام و مبهم جدا، و خير وسيلة لتوضيح المقصود منه إضافته إلى لفظ آخر، كقولنا **جنون العظمة** * folie de grandeur و **الجنون الأخلاقي*** folie *morale أويمكننا الاستعاضة عنه بلفظ آخر كقولنا **العته** Démence أو **الذهان** Psychose"و قد يطلق الجنون أيضا على الشذوذ والوسوسة، والحمق والتصورات، أو ما يخالف الصواب أو ما يجاوز حدّ الإعتدال"[4]. لقد إختلفت التفسيرات حول مفهوم الجنون

[1] نوبير سلامي، المعجم الموسوعي في علم النفس، المادة: الجنون .
[2] جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة و المرض العقلي، بدون طبعة،(الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للفنون و الثقافة، يناير 1978)، ص 185.
[3] شوقي الضيف، معجم المصطلحات الطبية، الجزء الثالث ،بدون طبعة،(القاهرة، الهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية، 1999)، المادة: الجنون.
[4] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، بدون طبعة،(بيروت، لبنان دار الكتاب اللبناني ، 1982)، المادة: الجنون .
* جنون العظمة: هو الشعور الكاذب بالقدرة و العظمة، أو الشعور الوهمي المصحوب بفقدان الجهد العقلي أو المادي إذ يوجب ذلك خللا في العقل فيخترع صاحبه حوادث خيالية مناسبة لشعوره و يظن أنه غني أو عظيم أو ملك، أو نبي أو إله.
** الجنون الأخلاقي: هو اضطراب جزئي عقلي و عابر أحيانا قوامه غياب و انحراف عميق للمشاعر الأخلاقية السليمة يتميز بغياب أي شعور خفي بالخير و الشر و اختلال القوة المميزة منها و يسمى العمى الأخلاقي للمزيد انظر أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية ، تعريب: أحمد خليل، المجلد الأول ،ط 2،(باريس، منشورات عويدات،2001)،المادة: الجنون .

و تعدّدت كونه يعتبر ظاهرة غامضة، حتّى مجيء الفيلسوف الفرنسي **ميشيل فوكو** الذي طرح موضوع الجنون طرحا مغايرا وفسّره تفسيرا مخالفا. وقلب منظور السائد آنذاك، حيث سعى منذ البداية لكي لا يعالجه بمثابة مرض عقلي يخص الطب النفسي فقط، أي عدم دراسة تاريخ الطب النفسي وتقنياته ووسائله في العلاج و تقسيماته للأمراض العقلية ، فالجنون في نظر **فوكو** "هو ظاهرة نسبيّة إجتماعيّة متغيّرة، وليست ظاهرة طبيعيّة أزليّة"[1]، فهي تخصّ الظروف والمشاكل الإجتماعيّة أكثر مما تخصّ عالم الطب والعلاج. ويذهب **فوكو** إلى أكثر من ذلك حين يرى"أن الجنون ليس مجرد واقعة ثقافية بل هو يشارك أيضا في تكوين الواقع الثقافي"[2]، لذلك ليس من الغريب إذن في "أن يكون للجنون تاريخ حسب **فوكو**،أو في أن تكون الرؤية العلاجية بكل أبعادها التقويمية والأخلاقية والإجتماعية جزء لا يتجزأ من هذا التاريخ"[3]، ومن هنا تتحدّد خصوصية الجنون فهو من بين الأمراض جميعا المرض الذي لا ترتسم خطوطه أو تبرز ملامحه إلا في لقاء خاص مع الطبيعة،وبقدر ما يؤكد هويته ويكتسب حقه في الوجود داخل إطار ثقافي*، لذلك يقول **فوكو**: " إن الجنون منقوش في قلب الوجود البشري قبل كل تفرقة بين العقل و العتّه "[4]، لقد حدّد **فوكو** الجنون بمثابة "غياب الأثر" أو إنعدام الأثر، أي انعدام القدرة على إنتاج أي شيء موجب له معنى ضمن حركة التاريخ، فإن الجنون يمثل الوجه الآخر للتاريخ أو الطبقات التحتية التي يرتكز عليها التاريخ، فالجنون عنده موجود قبل التاريخ،" و سيظل موجودا بعد أن ينتهي التاريخ عندما يفنى كل شيء، و بهذا هو يحيط بالتاريخ من كل الجهات"[5]، يقول موضحا:

> إن الإنجاز الكبير لتاريخ العالم مرتبـــط
> حتميا بانعدام الأثر.هذا الانعدام الذي يتجدد
> في كل لحظة والذي يسري بفراغه المحتوم
> على مدار التاريخ*. وهو يظهر قبل التاريخ
> لأنه موجود مسبقا لحظة اتخاذ القرارالأولي،

---

[1] هاشم صالح: "فوكو فيلسوف القاعة الثامنة"،مجلة الكرمل، العدد 12،1984، ص 24.

[2] زكرياء إبراهيم، مشكلات -فلسفية1- مشكلة البنية، بدون طبعة،(مكتبة مصر، سنة 1976)، ص 112.

[3] محمد علي الكردي، وجوه و قضايا فلسفية ديدرو. بطاي، فوكو،بدون طبعة،(بيروت، دار و مطابع المستقبل،مكتبة المعارف) ،ص97.

[4] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، تر: سعيد بنكراد ، ط1،(بيروت ، لبنان، المركز الثقافي العربي ،2006)، ص406

* يمكن تعريف الجنون وفقا لدراسة فوكو عن "المرض العقلي و الشخصية" بأنه مرض لا معنى له إلا في اطار ثقافة ما.

[5] هاشم صالح: "فوكو فيلسوف القاعة الثامنة"، ص19.

* بعبارة أخرى إن تاريخ الجنون ليس هو إلا تاريخ إمكانية التاريخ أي قيامه فالتاريخ هو حدوث، إنتاج الحدث و خطابه كلام يستوعبه الحدث يتكلم عنه سواء بصيغة الأنا أو النفس. و عن ثمة كائن في الماضي، و لكنه مستمر عبر حديثنا عنه و اتصالنا به. في حين أن الجنون و تاريخه الخاص من طرف المجنون نفسه لا يقدم حدثا، لا ينتج شيئا حيث يتميز بغياب الفعل. إنما الجنون يحيط بالتاريخ فهو حجمه الحقيقي المغيب في ضباب الزمان، للمزيد من الإطلاع أنظر مطاع صفدي نقد العقل الغربي ، الحداثة و ما بعد الحداثة،بدون طبعة،(بيروت، لبنان،مركز الإنماء القومي، 1990)،ص 139.

وموجود بعد التاريخ لأنه ينتصر في الكلمة
الأخيرة التي يلفظها التاريخ[1].

يرى **فوكو** أنه لا و جود للجنون إلا داخل الإنسان، ذلك الإنسان هو صانع الجنون من خلال تعلّقه بنفسه، و من خلال الأوهام التي يعيش فيها، يقول **فوكو**: **"**إنّ الجنون لا يرتبط بصفة عامة بالعالم و أشكاله الخفية بل يرتبط بالإنسان و مجالات ضعفه و أحلامه وأوهامه**"**[2]. فقد أصبح الجنون شكلا مرتبطا بالعقل، و أصبح الجنون و العقل منتظمين داخل علاقة أبدية لا فكاك منها، و هي علاقة تجعل لكل جنون عقلا يحكم عليه و يتحكم فيه، "و كل عقل له جنونه الذي يجد داخله حقيقته ومعناه، و ضمن هذه المرجعية يرفض بعضها بعضا و لكنهما لا يتأسّسان إلاّ استنادا لهذه العلاقة"[3]، يبدو الجنون مع **فوكو** شكلا من أشكال العقل، و يبد و العقل معه منقسما إلى قسمين: عقل raison و لاعقل déraison، فعند **فوكو** "لا يمكن أن يكون العقل موجودا دون أن ينفى، لأن النفي هو الذي يوجد الاختلاف الذي من دونه لا يمكن تصور أي وجود للعقل ذاته**"**[4].

يعمل **فوكو** بناءا على هذا التقسيم على ضبط تاريخ الثقافة الغربية و ذلك عندما يبحث العقل عن ممارسة ما، أو هيمنة على اللاّعقل فينزع منه حقيقته. و انطلاقا من هذا يظهر لنا أن اهتمام **فوكو** بدراسة الجنون إنما هو في البداية تعبير عن رغبته الدفينة في الارتقاء إلى أصول التفكير العقلي في الثقافة الأوروبية، من أجل إدراك حقيقته انطلاقا من حركة معارضته للامعقول، هذه المعارضة هي واقعة حضارية أساسية، لذلك يصح القول حسب **فوكو** "أنّ السمة الجوهرية المميزة للمجتمع الغربي ليس هي توافر العقلانية أو تحققها فيه، و إنما هي حرصه الشديد على إنكار كل ما لا يخضع له أو يخرج عن نظامه الخاص**"**[5]، و تبعا لذلك إنّ ما يهدف **فوكو** إليه من خلال دراسته لظاهرة الجنون إليه هو عملية إنتاج جديد لنقد العقل إذ لم تفهم ظاهرة الجنون في الفكر الغربي، إلا في ظاهرة المرض العقلي، بينما أخضع **فوكو** ضرورة فهمها باعتبارها ظاهرة مكملة للعقل، لذلك حاول في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، أن يجيب عن إشكالية العقل والجنون، أو بالأحرى

[1] ميشيل فوكو ، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، ص412.
[2] Michel Foucault, l'histoire de la folie a l'age classique,(Franc e, saint Amand, 1964), p p . , 35,36.
[3] ميشيل فوكو ، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ،ص 51 .
[4] مجدي عبد الحافظ، "موقع العقل في فلسفات ما بعد الحداثة"، مجلة عالم الفكر، العدد 02، المجلد 41 ،أكتوبر- ديسمبر 2012، ص 152.
[5] زكرياء إبراهيم، مشكلة البنية ، ص 111.

خطاب العقل عن الجنون. وهذا من خلال تقسيم تاريخي، حيث تتّبع الجنون إنطلاقا من المراحل الكبرى لهذا التاريخ، من العصور الوسطى وعصر النهضة، ثم العصر الكلاسيكي وهو إذ يتابع مفهوم الجنون إنما يقوم بعمل المنقب في الآثار التي تقع تحت يديه، مستخدما منهجه **الأركيولوجي** الذي طرح بفضله مشكلة العقل في الصّميم وبالتالي مشكلة الجنون الذي يحيط بالعقل من كل جانب ، فما يريد **فوكو** إثباته " أنّه ما إن يوجد تاريخ وعقل حتى يوجد المجانين. هذا الطرف الآخر المغيّب هو ميدان **الأركيولوجيا** و نطاق اشتغالها"[1].

جـ/الجنون عبر المراحل التاريخية عند فوكو:

1/الجنون في العصور الوسطى:

لقد أشار **فوكو** في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي إلى أن ظاهرة الجنون قد إرتبطت في العصر الوسيط بالرذائل* وذلك مبيّن في قوله: " لقد حدّدت القرون الوسطى للجنون مكانة مع الرذائل".[2] لقد طغت الصبغة الدينية على العصر الوسيط حيث أقامت الكنيسة الإعتبار لمسألة الإثم والإرادة الإلهية، وظهر الجنون تبعا لهذا بوصفه قدرا أو عقابا من الله أنزله على العباد بسبب إقترافهم للخطيئة، و كأن الله كتب على المذنبين أن يبتليهم بالجنون. وإنطلاقا من هذا أسندت مهمّة الإستشفاء للقساوسة الذين لجئوا في سعيهم إلى تشخيص العلاج إلى الكهانة وتقديم القرابين."فمرض الإنسان وشفائه مرتبط بلعنة الله أورحمته ولذلك إنتشر بين الناس ظاهرة التخوّف من غوايات الشيطان والخوف من الفتنة"[3].إنّ تفسير الإصابة بالجنون يعود إلى تحليلات غريبة حسب **فوكو** تفيد بأنّ الإضطرابات الشديدة التي تحدث مع المجانين في المزاج والكلام والسلوك، منشؤها الروح الشريرة، أو المكر الشيطاني "فالجنون يمثل روحا شريرة شيطانية، دخلت جسد المريض وجننته"[4].من ناحية أخرى "لقد شبّه المجنون بالساحر أيضا حيث تنسب إليه ممارسات الحرية وقدرات غريبة كالجهر بحقيقة مخفية والقدرة على التعبير عن المستقبل"[5]، وعلى

[1] مطاع صفدي، نقد العقل الغربي، الحداثة و ما بعد الحداثة، بدون طبعة، (بيروت ،مركز الإنماء القومي ، 1990)،ص ص 140،141.

*لقد ساد الاعتقاد الديني الذي يفصح بالمبدأ القائل أن الإنسان صورة الله في الأرض و التي تتمثل في العقل الذي يمثل بدوره الفضيلة، أما الجنون فهو عبارة عن غياب لصورة الله التي هي العقل و حضور صورة الشيطان المقترن مباشرة بالرذيلة. إن العقل متوافق مع الرب و سقط العقل في حالة من الاضطراب و خبل حيث يتلبس الشيطان بالروح .

[2] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص44.

[3] روي بوتر، موجز تاريخ الجنون، تر: ناصر مصطفي أبو الهيجاء، ط1 ،(هيئة أبو ظبي للثقافة و التراث ،2012)، ص28.

[4] هاشم صالح، "فوكو فيلسوف القاعة الثامنة"، ص 36.

[5] ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ص9.

الرؤية الساذجة لما يمكن أن تدركه حكمة الآخرين،لقد كانت نظرة الإنسان الأوروبي في العصر الوسيط للجنون نظرة سلبية والدليل على ذلك أن خطاب المجنون في هذا العصر لم يكن متداولا، حيث يعتبر حديثا فارغا ولا قيمة له أي أنّه حديث غامض و مبهم .

2/ الجنون في عصر النهضة:

يعتبر **فوكو** عصر النهضة عصر التّقدم في جميع المستويات العلمي و التقني و الفني، و يشيد **فوكو** في هذا السياق بالأعمال التشكيلية و المسرحيات التي كانت حسب رأيه أحسن معبّر عن تلك الفترة و لا سيما عن حالة المجانين، و المرضى. لقد ساهم هؤلاء الفنانين حسبه بتحسين صورة المجانيين بحيث أصبحت شخصية المجنون حاضرة ككيان له وجود و متطلبات. و قد دعّم **فوكو** رأيه حول مكانة المجنون في عصر النهضة من خلال كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي بالإستشهاد بلوحة فنية تسمى **سفينة الحمقى** للرسام **جيروم بوش** ***JeromeBosh**، الذي جسّد فيها ما يطبع – حسب **فوكو**- عصر النهضة من تشاؤم وإذلال لفئة المجانين، وفي هذا يقول: " لقد ظهر موضوع جديد في الحقل المخيالي لعصر النهضة، سرعان ما سيحتل موقعا متميزا داخله، يتعلق الأمر بسفينة الحمقى، سفينة غريبة جانحة تنساب في الأنهار الهادئة"[1]. لقد حملت هذه السفينة دلالات عديدة في الثقافة الغربية وتميّزت بأبعادها الإيحائيّة حيث عبّرت وبعمق عن القلق الذي إجتاح الثقافة الغربية إتّجاه عالم الجنون، كما كانت ترمز إلى العمليات التي كانت تقوم بها الدول، حيث كانت تتخلّص من المجانين عن طريق الإبحار بهم إلى أماكن بعيدة عن المدن الرئيسية، و يشهد عن ذلك واقع الإقصاء والنبذ الذي تعرض له المجانين. يشير **فوكو** إلى أن لوحة سفينة الحمقى حملت في محتواها درسا أخلاقيا لكل من عاصروا **جيرم بوش** وحتى كل الأجيال التي نشأت بعده وهذا ما وضّحه **فوكو** قائلا:"إنّ الإختلاف الموجود بين لوحات هذا الرجل وبين لوحات التشكيليين الآخرين يكمن في أن هؤلاء كانوا يودون باستمرار رسم الإنسان (المجنون) كما يبدو من الخارج، أما هو فقط كانت له الجرأة على

*جيروم بوش،رسام هولندي ،(1480م- 1516)،من أشهر أعماله لوحة الخطايا السبعة وسفينة المجانين.

[1] ميشيل فوكو ، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ،ص29.

رسمه كما يبدو على حقيقته من الداخل"[1].يضيف **فوكو** حقيقة مفادها أن الإهتمام بظاهرة الجنون في عصر النهضة و إعتباره ظاهرة إنسانية. يعود فيه الفضل أيضا للجهود المبذولة من طرف كل من **برانت**Brant*وإراسم ** Erasme اللذين قاما بإزالة اللبس حول ظاهرة الجنون من خلال رفض سيرورة النبذ والإقصاء التي يتعرض لها المجانين، بالإضافة إلى محاولتهم إثبات أن الجنون حاضر في المجتمع وحتى أمام العقل أي مقترن بالحكمة ، فهو واقع على حدود العالم، والإنسان والموت كصورة للقيامة"[2].

الجنون و الحكمة:

يشيد **فوكو** بجهود الشاعر **برانت** من خلال أعماله التي أولت إهتماما بالغا لظاهرة الجنون، فلم يعد معه وجود للجنون إلا بالقياس إلى العقل، فهو المجال الذي يتحدد داخله معنى الجنون، وإلى جانب جهود **برانت** يذكر **فوكو** أعمال **إراسم** التّي أقرّ من خلالها بوجود ارتباط بين الجنون و الحكمة،"حيث يعتبر عقل الإنسان في علاقته بالحكمة ليس سوى جنون"[3]. وبهذا سيصبح الجنون جزءا من طبيعة العقل ذاته، ولن يملك معنى ولا قيمة إلاّ داخل حقل العقل. يقول **فوكو** على لسان **إراسم"** إنّ الحكمة والجنون متجاوران وليس بين هذا وذاك سوى خطوة، وهذا ما يتّضح من خلال سلوك الحمقى."[4] فالعقل يثبت قوّته فقط – حسب فوكو - من خلال المغامرة ضمن الجنون من أجل الوصول إلى أعمال عبقرّية، يضيف قائلا " لا وجود لذهن كبير لا يمتزج معه الجنون، والدليل على ذلك موجات الغضب التي إنتابت الحكماء والشعراء وأخرجتهم عن طورهم، فأنتجوا بهذا أعمالا أوصلتهم للقمة"[5]. لقد أصبح الجنون مع **إراسم** حالة إنسانية تتضّمن الحكمة، وبهذا يعود إليه الفضل حسب **فوكو،** في إزالته للطابع السحري فلم يعد يرتبط الجنون بالعوالم السحرية فائقة الطبيعة، بل أصبح ينبع من داخل صميم الإنسان فالإصابة بالجنون ظاهرة إنسانية وليس خرافية، حيث يتميز الإنسان بقابليته الطبيعية للإصابة بهذا المرض.

[1] ميشيل فوكو ، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، ص48.
[*] برانت: شاعر فرنسي ولد في ستراسبورغ ،(1458م - 1521م).
[**] إراسم: كاتب ذو نزعة إنسانية، ولد في روتردام عام ،(1429 - 1536) من أشهر مؤلفاته مديح الجنون.
[2] ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ص102.
[3] ـــــــــ ، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص54.
[4] المصدر نفسه ، ص56.
[5] المصدر نفسه، ص57.

الجنون و الموت:

لقد انتشرت العديد من الأمراض و الحروب في عصر النهضة مما ساهم في استفحال ظاهرة الموت و اجتياحها للوجود الإنساني آنذاك، ممّا زرع القلق و الخوف في أوساط المجتمعات نتيجة للمعاناة و الآلام التي لاقوها جرّاء هذه الأحداث المدمّرة،لقد ظهرت حساسية كبيرة من فكرة الموت المخيفة مما أدّى إلى اقترانها بالجنون، و هو ما ظهر من خلال الكثير من الكتابات الأدبية و الفلسفية لكل من **سيرفانتيس*Cervantis وشكسبير**Shakespeare**حيث احتلّ الجنون موقعا هاما في أعمالهما، فالجنون لا يمتلك في نظرهما القدرة على اكتشاف الحقيقة و ليس شكلا من أشكال العقل، فهو لا يطلّ سوى على التمزّق الذي يقوده إلى عالم آخر و من ثمّ الموت " فهو جنون لا حاجة له بالطبيب، إنه يحتاج إلى رحمة الله فقط بتعبير **فوكو**."[1] وهذا ما يؤكده بقوله:" إنّ الجنون هو الحضور المسبق للموت. فالمجنون في نهاية المطاف لا يعني سوى موت وعبث، يسير باتجاه معاكس تماما للحياة، و للانضباط و للعقل."[2]

نستخلص في الأخير أنه بالرغم من أن الجنون في عصر النهضة كان إمّا مسببا للقلق، وإمّا مهدّدا بالفناء - نقصد الموت- إلا أنه كظاهرة بشريّة كان مألوفا لدى مجتمعات عصر النهضة، فقد كانت المجتمعات آنذاك متسامحة إلى حد كبير مع الجنون، حيث كان موجودا في صميم الوجود الإنساني،وهذا ما يتوضح من خلال قول **فوكو** " إنّ الجنون موجود في قلب الأشياء، والكائنات كما أصبح جزءا من إجراءات العقل والعمل والحقيقة، وهذا ما يثبت أنّ عصر النهضة قد أعاد الإعتبار للجنون."[3]

3/الجنون في العصر الكلاسيكي :

لقد سادت العقلانية في العصر الكلاسيكي التي تميل إلى عدم الإيمان بكل شيء يفوق الطاقة البشرية. وتأكد على قدرات الإنسان العقلية تأكيدا خاصا، "ولديها إيمان قوي بقيمة

[1] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، ص60.
[*] سيرفاتيس، شاعر إسباني ،(1547-1616) هو صاحب رواية" دون كيخوت الشهيرة".
[**] شكسبير، شاعر و كاتب مسرحي إنجليزي، (1564-1617) من أعماله "روميو و جولييت ".
[2] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، ص37.
[3] المصدر نفسه، ص65.

العقل و قدرته على الفهم و التّبصر"[1]. لقد كان مفكّروا عصر التنوير يعلون من شأن العقل و يستخدمونه لتحرير الفلسفة من قيود الخرافة. "و بالعقل نستطيع أن نصل إلى معرفة الحقائق المهمة عن الواقع،وعن طبيعة الذهن البشري، وعن طبيعة الكون وما يشتمل عليه، فكل شيء حسبهم يمكن أن يدرك بالعقل"[2].

وإنطلاقا من هذا ظهر المجتمع في العصر الكلاسيكي بإعتباره مجتمعا عقلانيا يتحكّم فيه العقل، فالعقلانية تصوّر المجتمع على أنه نظام يخضع للعقل بوصفه الأداة الوحيدة لتحرير الطبيعة الإنسانية من جميع السلطات المحيطة به، "وبوصفه المبدأ الوحيد لتنظيم الحياة الفردية والجماعية"[3]، فالعقل هو الشرط المسبق لكل بحث فكري جاد. و يعد الفيلسوف **ديكارت** من أشهر الفلاسفة العقلانيين اللذين أعلو من قيمة العقل و قام بإستبعاد كل ما يخرج عن دائرته ونقصد هنا الجنون الذي يعتبر نقيضا للعقل، فقد تغيّرت النظرة للمجانين في العصر الكلاسيكي تغيّرا جذريا.قام **ديكارت** من وجهة نظر **فوكو** بإقصاء خطاب المجنون نهائيا، بعد أن كان يسمح له في العصور الوسطى وعصر النهضة أن يعيش داخل المجتمع بصفة طبيعية، لقد دافع **ديكارت*** من خلال خطابه عن العقل كمنهج للتقدم في المجتمع، وكأساس للمعرفة المنهجية، و لقد تمّ الاعتقاد بقدرة العقل على إكتشاف أسس معيارية، نظرية وعملية،"والتّي عليها يمكن بناء أنظمة الفكر والعمل وعليها يمكن إعادة بناء المجتمع."[4] وهذا ما يثبت كونه كان معتزا إعتزازا خارقا بالعقل، حيث يثق ثقة متبصرة بقدرات عقله. لقد أعلن **ديكارت** في مستهل مقالته في المنهج، شمول الفطرة السليمة، أي إشتراك جميع البشر في إمتلاكهم للعقل لكن لا يكفي بالنسبة إليه أن يكون العقل سليما بل الأهمّ من ذلك أن يستعمله جيدا.من المتعارف عليه أنّ **ديكارت** إستخدم طريقة الشّك المنهجي**للوصول إلى اليقين،"فالشكّ دليل على عملية التفكير، و برهان على وجود الذات

[1] جون كوتنغهام، العقلانية فلسفة متجددة، تر: محمود منقذ الهاشمي، ط1 ،(حلب، مركز الإنماء الحضاري،1997)، ص13.
[2] جنفياف رود ليس لويس. ديكارت والعقلانية، تر: عبد الحلو،ط4 ،(بيروت، باريس، منشورات عويدات ، 1911)، ص12.
[3] آلان تورين. نقد الحداثة. الحداثة المظفرة، ج1، تر: صباح الجهيم، بدون طبعة،(دمشق، وزارة الثقافة،1988)، ص16.
[4] محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي، ما بعد الحداثة فلسفتها، ط1 ،(المغرب، دار توبقال للنشر، 2007)، ص 70.
*لقد ركز فوكو على ديكارت من خلال انتقاده لتميز موقعه الفلسفي، فهو يُعتبر أبو الفلسفة الحديثة و ممثل العقلانية. لقد اعتبر فوكو مكسب الحداثة الغربية بمثابة انجاز ديكارتي، فديكارت بالنسبة إليه هو الذي أدخل الفلسفة إلى الراهن الحداثوي و تجدر الإشارة إلى أن انتقاد فوكو لديكارت لا يقلل من قيمته الفكرية بل هو سجال فكري الغرض منه تأسيس خطاب جديد للفلسفة يجعل التفلسف واعيا بمهام جديدة.
**لقد شك ديكارت في كل المعارف الطبيعية و الفلك و الطب و الرياضيات لكن الأمر الوحيد الذي لم يرقى إليه الشك هو أن الإنسان ما دام يشك فهو يفكر وعميلة التفكير هذه دليل على وجوده كما أن الشك دليل على تمتع الإنسان بكامل قواه العقلية.

كواقع لا يتزعزع يتمتّع بالمناعة ضد عملية الشّك".[1] يشير **فوكو** إلى أنّ فلسفة **ديكارت** "قائمة على أولويّة التّفكير بإعتباره مقياسا للوجود".[2] فوجود الإنسان الفعلي مرتبط حسبه بكونه ذاتا مفكرة، وهذه الذات تشك دوما، غير أن الشك لا يعدو أن يكون شكلا من أشكال التفكير، فبفضل إمتلاك الذات لملكة التفكير، تمّ إثبات وجودها، ومن هنا جاءت مقولة **ديكارت** الشهيرة **أنا أفكر إذن أنا موجود،** ومادام الإنسان يفكر،يستحيل أن يكون مجنونا، والجدير بالذكر أن هذا المبدأ الديكارتي **الكوجيتو** هو بنظره القضية اليقينيّة الأولى لأنها قضية بديهية صادقة صدقا مطلقا ولا تحتمل إلا الصدق،"لأنها تتصف بالوضوح والتميز"[3].ولا يمكن الشك فيها على الإطلاق، وكل ما يعتبر من خصائص **الكوجيتو** أي الوضوح و التميز هو صادق صدقا مطلقا، وهو ما لا يتميز به الجنون حسبه، كونه منقطع عن عملية التفكير انقطاعا كليا خالصا، ولكي يبرهن **ديكارت** على ذلك،إعترف بأنه شاهد على أنّ الحواس خادعة في بعض الأحيان،ومن الحزم أن لا نثق، تمام الثقة في الذين خدعونا مرّة واحدة، فمن يخدعنا مرة، يخدعنا كل مرة، ثم أقرّ بأننا نتصور في الحلم أشياء، نحسبها في ذلك الوقت حقيقية، لكن إذا استيقظنا يتبدد الحلم، وإتّضح لنا أن ما رأيناه أثناء الحلم لا يمتّ للحقيقة بأي صلة، ومعنى هذا أننا نستحضر في المنام العديد من الصور والأفكار التي تتوارد أمامنا في اليقظة، فتبدى كأنها حقيقية. وإذن ما الذي يمنع أن تكون تصوراتنا في اليقظة، مثل تصوراتنا في النوم، كلها خيالات و أوهام، يقول **ديكارت**:" و لأن من الناس من يخطئون في التفكير حتى في أبسط الأمور، و يأتون فيها بالمغالطات فإني لما حكمت بأنّي كنت عرضة للزلل مثل غيري نبذته في صنف الباطلات كل الحجج التي كنت أعتبرها من قبل في البرهان".[4]

يقصد **ديكارت** من خلال قوله هذا أن الإنسان قد يتلّقى منذ صغره، العديد من الآراء التي يظنّها صحيحة، ثمّ سيتّضح له فيما بعد، أنّ كلّ هذه المبادئ التي تلقاها هي عرضة للشك، لذلك قرّر أن يتحرّر من جميع الآراء التي آمن بها قبلا. يتعرض لها بالنقد من أجل أن يعيد بنائها بأسس جديدة، بواسطة العقل الذي يقوم بتّقويض كل الآراء القديمة، من أجل بلوغ

[1] ستيوارت هامشير، عصر العقل، تر: ناظم طحان،ط2 ،(اللاذقية، سوريا،دار الحوار للنشر و التوزيع ، 1986)،ص70.
[2] محسن صخري، فوكو قارئا لديكارت،ط1،(حلب،سوريا، مركز الإنماء الحضاري ، 1997)، ص70.
[3] مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت و منهجه، ط1،(بيروت،دار الطليعة للطباعة و النشر ، 1982)، ص 93.
[4] رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، تر: محمود محمد الخضيري، بدون طبعة،(القاهرة ، مصر،المطبعة السلفية، 1930)، ص50.

مرتبة اليقين، يقول **ديكارت** " كل ما تلقيته لحد الآن على أنه أصدق الأمور وأوثقها قد اكتسبته بالحواس، غير أنّي وجدت الحواس خادعة في بعض الأوقات"[1]، ولئن كانت الحواس تخدعنا بعض الأحيان، في أشياء بعيدة عن متناولنا، إلا أنّ هناك من الأمور التي لا يعقل أن نشك فيها، مثال ذلك أن يلبس المرء عباءة المنزل ويجلس قرب النار. وما يقع في الحواس يقع كذلك في الحلم بالنسبة إليه. فالحلم ليس بالواضح المتميّز، فالإنسان ينخدع كثيرا في الحلم ببعض الرؤى، فقد يعلم الإنسان بأنه جالس قرب النار، وهو يلبس ثيابه لكنه في الحقيقة متجرد من كل ثوب وفي تلك اللحظة لا يستطيع المرء أن يميّز بين اليقظة والحلم، كما أن الحلم من الممكن أن يفعل- كما يصرّح **ديكارت-** "ما يفعله المصوّرون فهؤلاء يمكنهم أن يبذلوا ما أوتوا من مهارة في تمثيل بنات البحر وساتيرات*، من خلال صور وأشكال غريبة وخارقة للعادة"[2]. غير أن الحلم لا يمكنه أن يخلق أو يركّب أشياء في غاية البساطة والعمومية هي التي تضمن إمكانية الصور الخيالية، مثل الطبيعة الجسمانية وإمتدادها، كما لا يمكنه الشك في هذه الطبائع البسيطة.

يشير **فوكو** إلى أن **ديكارت** يقرّ بأن الذّات المفكرة، يمكنها أن تحلم، وقد تتوهم، وقد تخطئ،وتزيّف لنا الوقائع، لكن هذه الذّات يستحيل أن تلتقي بالجنون، ففي حالة الجنون الأمر على خلاف ذلك، فهو يشكل خطرا على العقل، وذلك لا يعود إلى كون ذلك الشيء لا يمكن أن يكون في ذهن المجنون مزيفا، كما هو الحال، مع خداع الحواس، بل لأنّني أنا الّذي يفكر، لا يمكنني أن أكون مجنونا، وليدعّم **ديكارت** حجّته قال في التّأمل الأول:

> كيف أستطيع أن أنكر هاتين اليدين يداي،
> وهذا الجسم جسمي اللّهم إذا أصحبت
> مثل بعض المخبولين،الذين اختلّت أذهانهم
> وغشي عليها بسبب الأبخرة السّوداء،التي
> تصعد من المرّة الصفراء، هؤلاء لا ينفكّون
> يؤكدون أنهم ملوك، في حين أنهم فقراء جدا،
> و لاينفكّون يؤكدون أنهم يلبسون ثيابا موشاة
> بالذهب،وهم في الحقيقة عراة ويتوهمون أن
> لهم أجساما من زجاج، هؤلاء بحق مجانين،

[1] رينيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، تر: كمال الحاج ،ط 4 ،(بيروت، باريس، منشورات عويدات، 1988)، ص23.
[2] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص67.
* ساتيرات: شخص خرافي نصفه الأعلى بشر و نصفه الأسفل ماعز.

و لن أكون أقـل منهم خبلا إذا نـسجت على
منوالهم.[1]

يورد **ديكارت** حسب **فوكو** افتراضا آخر، **"**لو كنت مجنونا**"** يعني ذلك أن العقل يتوقف عن الإشتغال فيستحيل أن أكون، وأن أكون مجنونا في آن واحد، بمعنى آخر من المستحيل، أن تفكر هذه الذات وتكون منعدمة الوجود في آن واحد، ولأن الجنون هو إستحالة الفكر، فالجنون خلال الكوجيتو هو نقيضه وبالتالي ينبغي إقصائه. ومنه يقول **فوكو " إنّ ديكارت** يقصي العقل بإسم الذات التي تشك**"**[2]. والجنون ضمن السّياق الديكارتي، يجعل الذّات عاجزة عن القيام بأي تأمّل برهاني، فالجنون هنا يصبح بمعنى إنعدام العقل، وغياب ملكة التفكير. يؤكد **فوكو** على أن الإشكالية الديكارتية إختزلت الجنون إلى الصمت، إذ على العقل أن يحمي نفسه من الخطأ و الوهم، وتلك هي مهمة الشك، التي تعتبر حسب **ديكارت** عملا بطوليا من طرف الإرادة، فالعقل لا يمكن له أن يحتمل سلبية الجنون، لأن العقل تحكم في الذات وسيطرة عليها، في حين أن الجنون هو إفلات الزمام من يد الذات. يقول **فوكو**: **"**فالإنسان يمكن أن يكون أحمقا، لكن الفكر لا يمكن أن يكون مجنونا**"**[3]، وهكذا يستبعد العقل الجنون استبعاد كليا، حيث إختار العقل أن يبتعد عن ضلال الجنون.

د/ردود فوكو على العقلانية –عقلانية ديكارت-:

إنتقد **فوكو** عقلانية المجتمع الحداثي – التي جسدتها فلسفة **ديكارت** -التي تمجّد العقل، وتغالي في الإعلاء بقدرته.مقصية بذلك كل ما ينافيه وما يعارضه، ولهذا تميل إلى أن ترى في العقل شيئا قدسيا. لقد رأى **فوكو** في هذا التفكير نوعا من السلطة تمارس الإقصاء على خطاب الجنون، بدل أن يكون جل اهتمام العقل هو الصعود الذهني والاجتماعي، وتكريس سلطته في توحيد البشر، بصورة مخالفة لما يحدث لهم تحت ضغط حكومة تنظّمهم وتقهرهم، وبالرغم من تأكيد **ديكارت***على أن واجب الإنسان السير بمقتضى العقل، فالعدالة

[1] رينيه ديكارت، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ص 25.

[2] M. foucault. Histoire de la folie l'age classique, p.57.

[3] ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ص103.

*تجدر الإشارة إلى حقيقة مفادها أن فوكو لم يكن الأول الذي ناقش مسألة العقل و الجنون في تأملات ديكارت إذ سبقه إلى ذلك جاك لاكان الذي حرص على الإفادة من التمييز الديكارتي بين الجنون و أشكال الضلال الحسية الأخرى إلا أن غرض لاكان هو محاولة فك الإرتباط بين معالجة الجنون و بين مرجعية الطب العصبي و لكن ما فاته هو قلة اعتناء من قبل ديكارت في تأملاته بظاهرة الجنون الديني في إطار علاقته بالعقل و هنا تبرز عبقرية فوكو في فهم التمييز الديكارتي و اعتباره تحريرا للقسمة المطلقة بين العقل و الجنون، ينظر ،وسام سعادة "المناظرة الديكارتية حول الجنون و تاريخ الجنون"، مجلة العرب و الفكر العالمي، تحرير مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، العدد 134، ماي 2006، ص 80.

ضرورية عند العقل لقيامها على المساواة ولأنّها لازمة لحياة المجتمع، أثبت مع **ديكارت** العكس فوجود العقل يعني بالضرورة غياب الجنون لا محالة، فبعد أن كان **إراسم** يقرّب الجنون من الحكمة في عصر النهضة، "قام **ديكارت** بقهر اللاّعقل من خلال إبعاده عن دائرة العقل، الذي يدعي بأنه المصدر الأول للمعرفة، وهو لوحده كفيل بمعرفة الحقيقة"[1].

لقد أزيح الجنون من مكانته التي كان يحتلها في عصر النهضة على أساس أنه حكمة، "فالعصر الكلاسيكي إعتبره مناقضا للحكمة ومنافيا لها"[2]. إنّ الأدلّة التّي قدّمها **ديكارت** ليثبت سيادة العقل من خلال الفصل المطلق بينه وبين الجنون، لم تقنع **فوكو** وهذا ما جعله يعلن قطيعة كلية مع المنهج العقلي، بحيث دافع عن منطق الجنون، قائلا:" إن الإنسان الذي يتخيل نفسه أنه مصنوع من زجاج ليس مجنونا، لأنّ النّائم كذلك يمكن أن تتكون عنده هذه الصورة في الحلم"[3].

إكتشف **فوكو** وجود نوع من المنطق داخل خطاب الجنون قريب كل القرب من منطق خطاب العقل، يعترف **فوكو** من خلاله على أن هذه البرهنة هي برهنة مجنون لكنها تحتوي داخلها على فرع من المنطقية والعبثية، وهذه الصورة الضرورية للمنطق يجدها **فوكو** مطبقة بشكل صحيح و في كامل دقتها عند المجانين قد تم العثور عليها بعد عناء طويل من طرف **زاكياس*zacchais** . يضيف **فوكو** قائلا: " إنها قياس عند ذاك الذي يقتل نفسه جوعا : " الأموات لا يأكلون، أنا ميت، إذن عليّ أنا لا آكل"[4]. إنها أيضا قياس ممتدّ بلا نهاية عند المضطهدين " هؤلاء أعدائي إنهم جميعا رجال، كل الرجال إذن أعدائي" يشيد **فوكو** بمنطق هؤلاء المجانين الذي يشبّهه بمنطق المناطقة إلى حد التطابق،هذا المنطقي تميّز بنوع من الكمال وإلتزام بقواعد العقل وما يفيض به خارج حدود ذاته، و مع ذلك شكلت ماهيته بإعتباره، هذيان أعمى أو إفتتان، و كان الخطر والإبعاد والإقصاء من العلامات الدالة عليه،هذا الإقصاء مارسه **ديكارت** من خلال سحب الثقة من المجانين كونهم

[1] يوسف كرم، العقل والوجود، بدون طبعة،(مصر، دار المعارف، 1964)، ص21.
[2] جون ستروك، البنيوية من ليفي شتراوس إلى دريدا، تر: محمد عصفور، ط 1،(الكويت ،عالم المعرفة، بدون سنة)، ص 152.
[3] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص253.
*زاكياس: هو طبيب في روما : تستشيره محكمة روما فيما يتعلق بالخبة الخاصة بالقضايا المدنية والدينية، من (1624 إلى 1650) أصدر كتابا بعنوان: "قضايا طبية وشرعية".
[4] ميشيل فوكو ، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، ص 254.

لا يتمتعون بمطلق سلامتهم العقلية وهذا الأمر بإعتقاد **شتراوس** يمنعهم من معرفة أي شيء في الوجود معرفة يقينية، ومنذ هذه اللحظة أصبح الجنون بلا لغة في العصر الكلاسيكي ما دامت اللغة نابعة من صميم العقل، مثلها مثل المعارف الأخرى.

لقد حاول **فوكو** من خلال منهجه **الأركيولوجي** إستقراء النّص الديكارتي من أجل توضح فكرة إقصاء الجنون وإستبعاده عن ساحة العقل، والكشف عن أسباب وآليّات هذا الإقصاء، من أجل تحقيق مبدأ الدفاع عنه وهو ما أكدّه من خلال تصريحه:"بأن الجنون لا يشكل مثل الحلم، مرحلة من مراحل الشك المنهجي عند **ديكارت** ولا حتى هو أداة من أدواته"[1]. فالجنون يمسّ بالمقام الأول قدرة الذّات المفكرة على ممارسة الفكر، ذلك أنّ الجنون لا علاقة له بضعف الإدراكات الحسية ولا بإمكانية الشّك الملازمة لها، لأنّه لو إتّفق وجوده أصلا لما أمكن أن يمارس المفكر عمله الذهني، و لما كان لهذا العمل الذهني حتّى لو كان مهدّدا بالأخطاء وعرضة للأوهام والخيالات الحسية معنى ولا أساس يقوم عليه، ومن ثمّ يذهب في تقديره لمستويات الأخطار التي تواجه المنهج العقلي في الوصول إلى الحقائق اليقينية إلى أن الحالم قد يشكل بالنسبة إلى إدراك الحقيقة خطرا أكبر من خطر الجنون نفسه، لأن جنون هذا الأخير ليس دليلا على تعطل كل الوسائل الإدراك الحسية لديه،"بينما الحالم لا يعول عليه على الإطلاق"[2].،بناءا على ما تقدم يمكن أن نجمل إنتقادات **فوكو لديكارت** كما يلي:

1/ إنّ **ديكارت** باسم العقل خوّل لنفسه إقصاء المجنون .

2/ إنّ **ديكارت** يعتبر المجنون ذو طبيعة مغيرة للإنسان الطبيعي الذي يمتلك عقلا ، لأنه لا يمتلك عقلا يفكر به على عكس الإنسان الطبيعي.

3/ لقد حقق **ديكارت** حسب **فوكو** الإستبعاد نهائيا للجنون بإسم العقل في العصر الكلاسيكي، حيث حكم عليه بالصمت المطبق، هذا الإقصاء تزامن مع حدث تاريخي مهم، يعدّ مظهرا آخر من مظاهر الإقصاء هو "قرار الملك لويس الرابع عشر" بعزل المجانين، وحبسهم إلى جنب الفئات الاجتماعية الأخرى من متسولين ومنحرفين، للحد من خطرهم والحفاظ على

[1] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، ص 69.
[2] محمد علي الكردي، نظرية المعرفة و السلطة لدى ميشيل فوكو، ص 183.

أمن المجتمع. لقد أقصي الجنون من قبل العصر الكلاسيكي غير أن هناك إقصاء من نوع آخر يتعلق الأمر بالسلطة ونظرتها للمجنون، وفي هذا السياق نطرح السؤال التالي، ما هو مفهوم السلطة عند **ميشيل فوكو؟** و ما هي علاقتها – السلطة - بظاهرة الجنون؟.

2/علاقة الجنون بالسلطة:

أ/تعريف السلطة عند ميشيل فوكو:

يحتل مفهوم السلطة مكانا جوهريا في فلسفة **فوكو**،إذ يكتسي معنى جديد يختلف جذريا عن كل الأطروحات التقليدية لإشكالية السلطة*، "وأخذ على عاتقه أن يشرح كيفية تحوّلها إلى سلطة مركزية تتفرّع شبكات وسلطات من الرقابة الداخلية والضمنية عبر تاريخ الثقافة الغربية"[1]،فصارت للسلطة تقنيات أخذ منها **فوكو** عينات أساسية فقال عن أعماله السابقة:

> إنّ خط توجهنا قام على تحليل العلاقات بين تجارب مثل الجنون،الجريمة، ومختلف تقنيات السلطة، كان عملي إذن ينصب حول مشكلة الفردية، أو كما يجب أن أقول حول الهوية في علاقتها مع مشكلة السلطة المفردنة قاصدا من ذلك أن التجربة الغربية سارت دائما نحومركزة السلطة، لكن الممارسة وزّعت السلطة و جعلتها تتفرد و تظهرعبرالأفراد أنفسهم .[2]

لقد نقد **فوكو** كل الأفكار والمسلّمات التي طبعت المواقف التقليديّة لليسار** في فرنسا والتي تنطلق من مسلمات مفادها "أن السلطة في ملك طبقة معينة، ومتمركزة في الدولة وأجهزتها"[3].كما أنها تتصرّف بعنف. لكن **فوكو** بدحضه لهذه المسلمات، يعيد بلورة مفهوم جديد للسلطة،كونها ليست ملكية حيث لا تعود إلى إمتلاك طبقة معينة من المجتمع، فالسلطة في نظره لا مركز لها، يقول **فوكو**:"السلطة تمارس أكثر مما تتملّك، ليست حقا تحتفظ بها

*يقصد بها فوكو جميع الأطروحات السابقة عنه التي تحاول معالجة إشكالية السلطة، من بينها الأطروحة الماركسية التي تحتكم في جهازها المفاهيمي لاستعمال مصطلحات صراع الطبقات، البنية التحتية، و الفوقية، كما يقصد بها النموذج الذي يتبناه إيميل دوركايم الذي يربط بين الظاهرة الاجتماعية و السلطة الضابطة الملزمة التي تتحكم كليا في المجتمع و مظاهره، سواء تعلق الأمر بالسلطة السياسية أو الدينية. يقصد بها أيضا المنظور التقليدي للسلطة الذي يبحث عنها في سياق القانون و الشريعة و القضاء و أجهزة الدولة القمعية، فهذه الأطروحات حسبه عاجزة عن فهم جوهر السلطة العميق و المعقد .

[1]مطاع صفدي، نقد العقل الغربي، الحداثة و ما بعد الحداثة، ص155.

[2]ميشيل فوكو، إرادة المعرفة، تر: مطاع صفدي، جورج أبي صالح، ط1، (بيروت،مركز الإنماء القومي،1990)،ص 127.

* *اليسار هو تيار فكري و سياسي يسعى لتغير المجتمع و نشر المساواة بين الأفراد، و اليسارية في الغرب تشير إلى الاشتراكية أو الديمقراطية الإشتراكية .

[3]ميشيل فوكو، المراقبة و العقاب، ص 31-33.

لنفسها الطبقة السائدة وتحتكره، بل هي ملك للجميع"[1]. يرى **فوكو** أن العنف لا يفسّر مفهوم السلطة فهما ليسا سوى أثر سطحي للقوة المسلطة على شيء أو كائن ما، فالسلطة بالنسبة إلى **فوكو** ليست دائما سلبية، بل لها دور إيجابي، كونها تساعد الإنسان وتدير شؤونه من أجل تحقيق غاياته، ويريد **فوكو** بهذا أن نرى السلطة بمنظور مغاير لما عهدناه سلطة إقصائية تعسفية، تمارس إجراءات قمعية تجرّد من خلالها الإنسان من إنسانيته، فلا بدّ حسبه أن نبني سلطة تعمل في المجتمعات على دفع الإنسان إلى الحركة والعمل. يقول **فوكو**:

> إنّ السلطة تخترق الأشياء و تنتجها وتستخلـص اللذة وتصوغ المعرفة وتنتج الخطاب،لذلك يجب اعتبارها بمثابة شبكـة منتجـة تمر عبـر الجسـم الاجتماعي كله أكثر مما هي هيئة سلبية وظيفتها هي ممارسة القمع[2].

يضيف **فوكو** قائلا: " كان من الضروري أن نوسع أبعاد تعريف السلطة إذا كنا نرغب في استخدام هذا التعريف لدراسة توضيح الذات".[3] فإذا كانت الذات مأخوذة في شبكة علائقية إنتاجية ودلالية فإنها كذلك متورطة بشكل حازم في علاقات السلطة، "ولن نتمكن من معرفة هذه الذات إلا بتفكيك هذه العلاقات وبيان كيفية تشكل الذات"[4]. هذه المتابعة الجينالوجية تعمل على التقاط لحظات القوة والضعف، ورصد الحدثي واللامتوقع والإلتفات للصحي والجسدي، الذي يشكّل الأجساد " فالتحليل الذي يعتمد مفهوم السلطة لا ينبغي أن ينطلق من التسليم بسيادة القانون، أو الوحدة الشاملة لهيئة معينة فهذه ليست إلا الأشكال التي تنتهي إليها السلطة"[5]. بل على هذا التحليل أن يكون تشريحيا سياسيا مجهريا للسلطة من أجل فهم العناصر التي تحدّد عملها ، وعوض مساءلة الأفراد عما تنازلوا عنه من حقوقهم أو من قدراتهم ليمارس عليهم الإقصاء،"يجب البحث في الكيفية التي بها تستطيع علاقات الإخضاع صنع ذوات."[6]

---

[1] ميشيل فوكو، المراقبة و العقاب ، ص 40.

[2] ميشيل فوكو، همّ الحقيقة، ص 84.

[3] أوبيردريفوس و بول رابينوف، ميشيل فوكو مسيرة فلسفية، تر: جورج أبي صالح،بدون طبعة، (بيروت، مركز الإنماء القومي، بدون تاريخ النشر) ، ص 187.

[4] ميشيل فوكو ، الجينالوجيا و المعرفة،ص50.

[5] M.Foucault, volonté de savoir, (Paris, Gallimard, 1976). P 221.

[6] M.Foucault, "leçon au collège de France", en 1976, in Amunaire de collège de France 1976 p.361, cité par paul veyne, in comment on écrit l'histoire, suivi de Foucault révolutionne l'histoire.

يعتبر **فوكو** السلطة " علاقات قوى"[1]،والقوة ليست على الإطلاق قوة مفردة بل إن من سماتها الجوهرية إنها ترتبط بقوى أخرى، وإن كانت كل قوة هي أصلا علاقة أي سلطة، فليس للقوة أي موضوع آخر، أو ذاتا أخرى سوى القوة، يريد **فوكو** أن لا نفهم القوة كممارسة مؤسسة تتيح لنا فهم العلاقات السلطوية، بل نذهب بالعكس إلى قوة كتجل وفاعلية وأثر، وإلى السلطة في مواقعها المحلية والموقعية وإلى العلاقات السلطوية التي تتيح فهم وتحليل كيفية عمل المؤسسات وليس العكس".[2] ذلك إن هذه المؤسسات هي ما تنتهي إليه السلطات وليست ما يكون هذه السلطة وقد كتب **فوكو** لتوضيح هذه الفكرة قائلا:

> أنا لا أعني بالسلطة ما دأبنا على تسميته بهذا الإسم
> ولا أعني مجموع المؤسسات والأجهزة التي تمكن
> من إخضاع المواطنين داخل الدولة معينة. كما أنني
> لا أقصد نوعا من الإخضاع قد يتخذ في مقابل العنف
> صورة قانون، ولست أقصد أخيرا نظاما من الهيئة
> يمارسه عنصر على آخر أو جماعة على أخـــرى
> بحيث يسري مفعوله بالتدريج في الجسم الاجتماعي
> بكامله[3].

حاول **فوكو** تخطي التعريفات التقليدية للسلطة و حرص على إعطائها معنى أعم من الأجهزة و المؤسسات التي يعتقد أنها تمثلها سواء في المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو الحقوقي"[4].فلم يركز اهتمامه حول الاشخاص الذين يمارسون السلطة بل اهتم بدراسة الياتها الياتها وحاول الكشف عنها يرى فوكو أن مفهوم السلطة يتميز بعدة خصائص اهمها:أولا- ليست القوة بالضرورة سلطة قامعة، "لأنها تحرض تحت أو تثير وتنتج"،ثانيا- يجب البحث عن القوة من حيث هي قوة تمارس قبل أن تمتلك وتتجسد ما دامت لا تمتلك إلا بشكل يتحدد، كما هو الشأن في الطبقة، ثالثا- أو بشكل يحدد كما هو الحال في الدولة تبسط نفسها على الكل غالبين أو مغلوبين"[5].و المعنى الذي يرومه **فوكو** هو رفضه ربط السلطة بالعنف واعتبارها أداة بيد الدولة، و يرفض من خلالها الهيمنة على الجميع، فالفرضية القمعية التي تقسّم المجتمع إلى حكام ومحكومين، وجعل الحاكم يمارس العنف على المحكومين من خلال

---

[1] جيل دولوز، المعرفة و السلطة، مدخل لقراءة فوكو، تر: سالم يفوت،ط1،(بيروت،المركز الثقافي العربي، 1987)، ص77.
[2] عبد العزيز عيادي، ميشيل فوكو المعرفة و السلطة،ط1،(بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1994)، ص66.
[3] M.Foucault, volonté de savoir, ., p.121.
4 عمرمهيبل،البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر،بدون طبعة، (الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية)، ص 160.
[5] Ibid. , PP. , 125, 126.

قانون قمعي بحيث يجبر المحكومين على الخضوع قسرا لأوامره وقوانينه وبالتالي طاعته، هذا الأمر جعل النظريات السياسية تفسر السلطة بأنها مجرد تعاقد بين الفئات، وهذا ما رفضه **فوكو** رفضا كليا و دفعه للبحث عن طرق من أجل الكشف عن آلياتها وكيفيات إشتغالها من أجل الوقوف عند ماهيتها الحقيقية.

ومن ثم فقد بحث عمّا ينبغي أن تكون عليه السلطة، وحاول الحد من نفوذها. والدليل على ذلك أنه سعى جاهدا من خلال منهجه الحفري لمساءلة السلطة وحاول تقديم مقاربة لمفهومها كونها "تمثل بالنسبة إليه -أي السلطة- حالة في كل مكان فليس لأنها تشمل كل شيء وإنما لأنها تأتي من كل صوب"[1]. فأينما كانت السلطة تكون مقاومة ونقط المقاومة هذه حاضرة في كل مكان من شبكة السلطة، لقد سأل **هنري برنارد ليفي، فوكو** قائلا: " السلطة والمقاومة، التكتيك والإستراتيجيات لماذا هذه الإلماحات الحربية، هل تعتقد أنه ينبغي التفكير في السلطة من الآن فصاعدا في صيغة حرب؟.

فأجاب قائلا:

> إننا نتوفر الآن على نموذجين من أجل تحليل السلطة النموذج الذي تقترحه علينا الحقوق أي السلطة باعتبارها قانونا ممنوعا و مؤسسة ، والنموذج الحربي أو الإستراتيجي المعبّر عنه في صيغة موازين القوى،ولقد استعمل النموذج الأول أكثر حيث أظهر طابعه غير الملائم و سلبياته الكثيرة أما النموذج الثاني فالناس يكثرون الكلام عنه لكنهم يقفون عند مستوى الكلمات كاستعمالهم لمفهوم "الصراع من أجل الحياة[2].

تكمن أحد مواطن القوة في فكر **ميشيل فوكو** كونه يرفض أن تكون السلطة مركزية أي حكرا على مؤسسة معينة أو طبقة مسيطرة، وهذا ما يفسّر رفضه للعقلانية التي سيطرت لحقبة طويلة على المجتمع الحديث، فالتنظيم الاجتماعي لا يدار بواسطة السلطة العقلانية التقنية بل بممارسة السلطة، فمبدأ السلطة الأوحد في نظره، هو فرض العدالة في المجتمع،يقول **ألان تورين**:

> إن المجتمع الذي يحبس الأشقياء في السجن،

[1] ميشيل فوكو، المراقبة و العقاب، ص150.
[2] ميشيل فوكو، همّ الحقيقة، ص ص 58،59.

> والتلاميذ في الإقامة الداخلية ، والمرضى في المستشفيات والعمال في المؤسسات، لا يجسّد المعنى الحقيقي للعدالة، إنّه مجتمع في خدمة طبقة حاكمة، وهما يتحول المجتمع إلى جيش صناعي محكوم عليه بطريقة سلطوية،لايوجد فرض سوية فقط ولكن هناك أيضا قمع. ويهدف الحجز بالأساس حسب تحليل فوكو نفسه إلى عزل الأشقياء عن الجسد الإجتماعي[1].

إنّ ما يفسّر معاداة **فوكو** للعقلانية من خلال ما تقدّم كونها أخضعت كل موضوعاتها المتمثّلة في الحرية والعدالة، لممارسات سلطوية فالمجتمع بمؤسساته: السجن، المدارس، الأطباء، تمارس عليهم سلطة الإكراه والقمع والتّحكم بشكل عدواني مخيف، حيث أطاحت هذه السلطة بكل مسمّيات الإنسانية، وجعلت مصير الإنسان مجهولا ومهدّدا بالفناء، الأمر الذي دفع **فوكو** لضرورة الكشف عن شبكة السلطة وفضح آليّات عملها المعرفية والإجتماعية من خلال نماذج أصرّ على تقديمها، فكتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي هو دراسة لتقنيات ممارسة من قبل سلطة المجتمع والمؤسسة الطبية على الفقراء والمجانين و زجّهم في المصحات، وهو ما سنحاول تفصيله في المبحث القادم.

ب/نظرة السلطة إلى المجنون:

العزل الأول و تأسيس المستشفى العام:

لقد ركز **فوكو** تفكيره حول مسألة أساسية مفادها أن التعامل مع المجنون في العصر الكلاسيكي كان يخضع لاعتبارات عملية تحكمها طبيعة الخطاب السلطوي، فقد حاول من خلال تحليله لهذه الظاهرة بواسطة **الأركيولوجيا** التي تحفر في كل مكان، و تكتشف وثائقها التي تفرض من أدوات تفكيك خاصة بها، من أجل الكشف عن النظام الداخلي للمجتمع الذي تسيره السلطة فقط " ليبين زيف القوانين التي سادت في الماضي، وتركت ظلا كثيفا على الحاضر والمستقبل"[2].

حاول **فوكو** من خلال كتابة تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي تشريح مؤسسة العزل لمحاولة تفكيك العلاقات العامة والخاصة التي تحكمها، يشير **فوكو** إلى أن هذه السلطة ليست سوى نتاج أفرزته العقلانية من خلال تمجيدها للعقل، بحيث"صنعت الذات الكلاسيكية

[1] الان تورين، نقد الحداثة، ص 225.

[2] سالم يفوت،" مفهوم السلطة عند ميشيل فوكو"، مجلة آفاق عربية، الثالثة عشر، كانون الأول 1984، ص ص 63، 64.

بواسطة عقلها المتسلط، فضاءات تعمل داخلها للسلطة و تمارس بذلك حجزها و إقصائها وبذلك أصبحت المجتمعات الغربية بمجتمعات إبعاد و إقصاء،نتيجة لهذا تأسست السلطة على مبدأي القهر و العنف"[1].

لقد نفي المجنون كما رأينا على المستوى الفلسفي وفي إطار الجهاز المفاهيمي مع **ديكارت**، الذي فصل بين العقل والجنون، ورافقه نفي آخر على مستوى المؤسسات المتنّوعة داخل المجتمع، ولربما يمكننا أن نستشعر من خلال هذا الأمر أن هناك تواطؤ بين الكوجيتو الديكارتي المتّهم بعزل الجنون وبين المستشفى العام الذي تمّ تأسيسه وإنشائه، فقد وجدت هذه المؤسسات دعامتها وسندها في نص التأملات الديكارتية، ولا ريب أن يوجّه **فوكو** من خلال هذا تهمة بالغة الخطورة **لديكارت**، فلسفيا، وأخلاقيا، وسياسيا.

تعود بدايات العزل المطبّقة من طرف السلطة إلى "تأسيس المستشفى العام" سنة 1956، وخلال مدة وجيزة امتلأ بأكثر من ستّة آلاف شخصا، فقد عزل فيه المجانين عن الناس الطبيعيين في المجتمع، باعتبار أن الجنون مناقض للعقل، لذلك وجب إقصاء هؤلاء المجانين وحجزهم بعيدا لكي لا يشكّلوا خطرا على سلامة وأمن المجتمع يشير **فوكو** إلى حقيقة مفادها أنّ هؤلاء الأشخاص كانت ترسلهم السلطات الملكية أو القضائية إلى المستشفيات التي تقوم بدورها بمنح العديد من الصلاحيات، لمدراء يعيّنون داخل المستشفى مدى الحياة، لهم كل صلاحيات السلطة بما فيها التوجيه والعقاب للتّحكم في كل فقراء باريس خارج وداخل المستشفى،"وفي هذه الأوضاع كان المجنون يقيّد بالسلاسل ويلقى به في زنزانة باردة فريسة للفئران، و لمختلف أشكال التّحقير والتّعذيب اللذين يؤدّيان بالعاقل نفسه للمجنون".[2]

يقرّ **فوكو** بحقيقة في غاية الأهمية فالمستشفى العام في نظره لا يحتوي على أية رعاية طبية، وهذا ما يؤكّده في قوله " هو محفل من محافل النظام الملكي البرجوازي الذي كان منهمكا في تنظيم أوضاعه في تلك الفترة"[3]، بمعنى أنّ المستشفى العام لم يكن مؤسسة علاجية بل كان بمثابة تنظيم للقمع، ولم تكن فكرة إنشائه ترمي إلى أي هدف علاجي، بل

[1] فتحي التريكي، الحداثة و ما بعد الحداثة، ط1 ،(دمشق، دار الفكر ، 2003)، ص34.
[2] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص74.
[3] المصدر نفسه، ص72.

كانت في حقيقتها " مؤسسة ملكية برجوازية"[1]، أسّست من أجل استبعاد وعزل المجانين مع المتسّولين والعاطلين والمحكوم عليهم تعسّفيا في السجن. فهذه الفئة بالنسبة إلى الطبقة الحاكمة تعتبر مصدر للقلق أي تهديدا لنظام المجتمع و لهذا أبعدت بالحجز.

يرى **فوكو** أنّ إنشاء المستشفيات لم يكن بدافع إنساني بقدر ما كان بدافع الحد من التوتر الذي ينشأ من الوضع الاقتصادي المزري الذي يعيشه العالم الغربي، يوضح **فوكو** هذه المسألة قائلا :" إنّ هذا الوقت تزامن مع دخول العالم الغربي في أزمة اقتصادية سببت في انخفاض الأجور وتفشّي البطالة وندرة السّيولة"[2]. لقد كان المجنون في العصر الكلاسيكي ضحيّة لهذه السّلطات القمعية والاستعبادية، فقد اكتشف **فوكو** أنّ ممارسة الحجز و الاتّهام بالجنون لفئة البؤساء والعاطلين عن العمل ليس إلا شكلا من أشكال ممارسة السلطة التي تقوم بها الدولة، والدليل على ذلك أنّ هذا المستشفى كان يهدف بالدرجة الأولى إلى تحقيق غاياته الإقتصادية.

لقد كانت هذه المؤسسة تأخذ على عاتقها صنع التّسول و البطالة باعتبارهما مصدرين للفوضى لذلك إتّخذت إجراءات فورية للقضاء على هذين المظهرين السلبيين، وهذا باعتقال المجانين و المتسولين لإمتصاص غضبهم ونقمتهم، لكي لا تحدث جرّاء ذلك ثورة ضد الوضع السائد آنذاك. لقد أطلق عليهم من طرف المجتمع و السلطة مصطلح أتباع الشيطان يقول **فوكو**: " إنّهم يعتبرونهم أعداء للنظام العام، كسالى، سكّيرون بلا حياء، ولا يجيدون سوى لغة الشيطان، ولهذا السبب يجب أن يحرموا من الحرية، التي لا يستعملونها إلا من أجل تمجيد الشيطان"[3].

إنّ ما يظهر فساد السلطة في نظر **فوكو** هو إجراءاتها التعسّفية التي لا تمتّ للإنسانية بصلة، فبالإضافة إلى وظيفتها القمعية، أصبحت تقوم بوظيفة أخرى تتعلّق بإرغام المعتقلين من المجانين والفقراء والعجزة البائسين والمتسكعين، والمصابين بالأمراض الخبيثة والشواذ جنسيا على العمل، بحيث سيتّم الدفع بهم من أجل الإسهام في خلق الرفاهية للجميع وهذا من أجل إنعاش الناحية الاقتصادية التي تفشت حالة الركود وبهذا يحقّقون الأمن الذي تنادي به الطبقة الحاكمة عن طريق احتجزاهم ثم يقومون بجني المقابل لشقاء هؤلاء الضعفاء، يقدّم

[1] هاشم صالح، "فوكو فيلسوف القاعة الثامنة"، ص20.
[2] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، ص88.
[3] المصدر نفسه ، ص83.

فوكو دليلا عن هذا قائلا: " إنهم يقومون بعملية النسيج و صنع اللاصقات وغزل الصوف، بل وأرغموا حتى على العمل في الصرف الصحي للمدينة مكبلين مثنى مثنى"[1]، بل والأدهى والأمر حسبه أن تفكيرهم اللاإنساني، وصل بهم إلى درجة استبدال الخيول المستعملة في جلب الماء بفرق من السجناء من مختلف الفئات للقيام بالوظيفة التي كانت تقوم بها الحيوانات.

يرى **فوكو** أن تعامل السلطة مع المجنون هو تعامل لا أخلاقي لأن السلطة اعتبرت المجنون عدم، أي غير موجود، فخطابه ليس سوى هذيان يؤدي بتعبير **فوكو** إلى جهل، و هذا الجهل هو الذي حرم الإنسان من نور العقل وحال بينه وبين السلوك السوي،" وهذا التصور هو الذي انتهى به إلى حرمانه من حريته المدنية وحقوقه الشرعية"[2]، ليلقى به خارج المجتمع في سجن محكم الإقفال، ليتمّ إسكاته وإخضاعه بشتى وسائل القهر والاضطهاد، يضاف إلى ذلك شيء أساسي أن الناس في القرن السابع عشر كانوا ينظرون للجنون بمثابة تعبير عن الحيوانية الكاملة وهو ما سنوضحه في المبحث الآتي.

ج/الجنون و الحيوانية:

يقوم **فوكو** في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي بتتبّع تطوّرات تقنية لعبة السلطة، واقفا عند نظرة المجتمع والسلطة للجنون باعتباره "حيوانا" يشكّل خطرا على المجتمع، فلم تكن معاملتهم له معاملة إنسانية أي باعتباره كائنا إنسانيا في حالته الطبيعية بل نكّلوا به أشدّ تنكيل،وصلت به الممارسات التعسفية بحق المجانين إلى الحد الأقصى للعنف، يبين فوكو ذلك قائلا:

> كان حراس الخبل يقودونهم للتنزه بعد العشاء في فناء المنزل وكانوا يتعاملون معهم بالعصا كما يعامل قطيع الغنم وإذا انحرف احدهم من القطيع أو تباطأ في السيرفإنه كان يعاقب بطريقة وحشية لدرجة أن البعض كان يصاب بعاهة مستديمة أو يموت بسبب الضربات الشديدة على الرأس.[3]

[1] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي،ص86 .
[2] محمد علي الكردي، وجوه و قضايا فلسفية، ديدرو، بطاي، فوكو، ص 97.
[3] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص110.

لقد واجهت هذه المستشفيات عنف هؤلاء المجانين وسخطهم بأقصى أنواع العذاب، بالإضافة إلى إخضاعهم لنظام قسري يحكمه ضمير عقل معتدّ بنفسه، لقد أصبح المجانين تبعا لهذا "وحوشا" وأصبح الإنسان في العصر الكلاسيكي يشكّل حالة الإنسان في علاقته المباشرة مع الطابع الحيواني،هذا الحضور الحيواني في الجنون ظهر كعلامة تدلّ على أنّ المجنون غير مريض، فهذه الحيوانية التي يتّصف بها ستكسبه صلابة تحصّنه و تحميه ضدّ الجوع،والبرد والألم، وبهذا يستطيع بكل سهولة أن يتحمل مشاق وصعاب الحياة فليس من الضروري حمايته ولا حتى الإشفاق عليه. يصف **فوكو** اللامبالاة اللاإنسانية وطرق الإكراه وسلطة التهديد الممارسة على المجنون بقوله:" لقد كان المجنون يربط بسلسلة طويلة تخترق الحائط ممّا يسمح للحارس بالتّحكم فيه وقيادته من الخارج، أما حول عنقه فتوضع حلقة كبيرة متحركة لأنها موضوعة في قضيب عمودي مثبّت إلى السقف وإلى أرضية الزنزانة من الجانبين"[1].

يستغرب **فوكو** كثيرا من واقع هذه الممارسات التي تعبّر حسبه عن سلطة إضطهادية عدوانية، وما يزيده استغرابا أنّ العصر الكلاسيكي قد أضفى على هذا المجنون صفة الوحشية الحيوانية، و اعتبرها بمثابة مناعة اكتسبها ضد أخطار المرض و التّقلبات الجويّة، لهذا و حسب إجراءاتهم الموسومة بالقهر، لا يمكن أن يدخل الجنون ضمن اختصاص الطب و لن ينتمي إلى ميدان الإصلاح، بل سيتّم ترويض المجانين كما تّروض الحيوانات المفترسة في حديقة الحيوانات، ويتمّ عرضهم على الناس من أجل التمتع بمشاهدتهم، وهم يقومون بالحركات البهلوانية والرقص تحت ضربات سياط السجانين." [2]

وضّح **فوكو** في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي كل الممارسات اللاأخلاقية التي كانت تمارس على هؤلاء، وقدّمها كدليل على انحطاط المعاييرالأخلاقية وتدنّيها فكل هذه الإجراءات التي لا تمتّ للإنسانية بصلة لم تخلّص المجنون من حيوانته، بل ساهمت في عودته إلى كل ما يشكّل الحيوانية داخله. [3] لقد شكّلت آلية الحجز ضمن المشافي أداة جديدة من أدوات ممارسة السلطة فقد أصبح الحجز يستوعب داخله غاية إجتماعية تسمح للجماعة بإقصاء العناصر الطفيلية أو الضارة -إن صح التعبير- وبذلك أصبحت صفات

[1] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، ص 170.
[2] المصدر نفسه ، ص 168.
[3] المصدر نفسه، ص 173.

مجنون، منحرف أخلاقيا، مفاهيم تطلق لضبط المستلبين إجتماعيا والمشكلين خطرا على الدولة.

عرف تاريخ الجنون موجة من الاعتقالات الكبرى في "القرن السابع عشر" فقد كان يزج بالمجانين في المستشفى العام، ثمّ تمّ تحويل هذه المعتقلات في "القرن التاسع عشر" إلى مؤسسات مغلقة ويقصد **فوكو** بها "مؤسسات الطب العقلي"، التي سيزيل عنها القناع ويكشف تواطؤها مع مؤسسات القمع الأخرى التي فرضت هيمنتها الاقتصادية والسياسية والثقافية،فيتم الانتقال من الحجز الذي هو إبداع يرتبط "بالقرن السابع عشر"، إلى المارستان* الذي هو إبداع خاص "بالقرن التاسع عشر"، ويبيّن لنا **فوكو** الدور الذي سيلعبه الطبيب في القرن التاسع عشر حيث سيتمّ تمجيده بل وحتى تأليهه وسيظهر بمظهر الوصّي على القانون الأخلاقي والقضائي، على غرار الطبيب في العصر الكلاسيكي الذي لم يكن دوره علاجيا أو معنويا ،بل كان بمثابة الحارس على المريض فقط.

د/العزل الثاني:

ولادة مؤسسة الطب العقلي:

لقد ظلّ وضع المجانين على ما هو عليه إلى غاية منتصف "القرن الثامن عشر"، عندما أصدر الفيلسوف **ديدرو** ***Diderot*** كتابه ابن أخي رامو عام 1862 حيث أثار التساؤل من جديد حول الجنون، الذي تمّ إقصاءه وإبعاده طيلة القرن السابع عشر، لقد كان الهدف من هذا الكتاب إدانة كل أشكال المحاكمات التي تلغي اللاعقل وتحرمه من الظهور على مسرح الحياة الإجتماعية، يقول **فوكو** " إنّ الرّوابط بين العقل واللاعقل في تلك الصفحات القليلة **لديدرو** تتخذ وجها بالغ الأهمية، إنّ قدر الجنون في العالم الحديث يجد تجسيده في هذه الصفحات"[1]. وبهذا المعنى أعيد الإعتبار للجنون ولو نسبيا ومن جهة أخرى بدأت الأصوات ترتفع قصد الفصل بين المجانين والمتسولين والمشعوذين، وبهذا خصّصت السلطات بيوتا صغيرة للمجانين أما الباقي من المساجين فقد طالب الناس بإطلاق سراحهم، لأن سجنهم مع المجانين سيؤدي إلى فقدانهم لعقولهم.

*المارستان: يقصد به المصحة أو المستشفى، أو دار المرضى.

[1] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص 362.

ما يحاول **فوكو** تأكيده في هذا السياق أن تخصيص السلطة لهاته البيوت ليس الغرض منه التخّوف من عدوى الإصابة بالجنون*،لكنه يحمل معنى آخر أو بالأحرى له هدف اقتصادي**جديد فقد ازدادت سرعة التّطور الصناعي في بداية القرن التاسع عشر و كانت هناك حاجة ماسة لليد العاملة، لذلك تمّ إطلاق سراح الفقراء والشاذين القادرين على العمل، من أجل الاستفادة من طاقاتهم الجسدية أما الذين لا يملكون قدرة على العمل و من بينهم المجانين فقد تم تركهم والإبقاء عليهم في هذه المؤسسات وتمّ اعتبارهم مرضى لأن لهم طبيعة مغايرة لغيرهم من السجناء.

وهكذا فإن المؤسسة التي كانت عبارة عن معزل قد تحوّلت إلى عيادة نفسية وهيئة علاجية ومن ثمّ ظهر ما يسمى بالمارستان وأصبحت بهذا "الاضطرابات العقلية" موضوعا للدراسة الطبية حيث تم مماثلة المجنون "بالمريض العقلي" وظهرت فئة جديدة هي فئة "أطباء الأمراض العقلية". ويؤكد **فوكو** أن هذا الإدراك الجديد للجنون لم يتكوّن دفعة واحدة من تلقاء ذاته بل كان لتكوينه شروط قدمت له وسياق حتّم ظهوره، فقد صدر في سنة 1975 مرسوم ملكي فرنسي "يأمر بإدخال الرعاية الطبية للمجانين في بيوت العزل و مؤسسات الحجز"[1] ، يذكر **فوكو** كذلك أنّ بداية إعادة النظر في مسألة العزل كان يتوافق في التاريخ مع ذروة الأزمات الاقتصادية في انجلترا و فرنسا.وقد رأى "الاقتصاديون" في ذلك الوقت أن العزل خطأ اقتصادي فالسكان هم أحد عناصر الثروة بالإضافة إلى موجات الاحتجاج و نصائح الاقتصاديين. فقد جاء "إعلان حقوق الإنسان" ليقضي تماما على بيوت العزل، كما أن هناك نقطة مهمة تنبه إليها **فوكو** أثناء تحليله و هي أن تحسن بعض أوضاع المصحات و المستشفيات يرجع الفضل فيه أيضا إلى التأثير الذي أحدثه الشرق في الحضارة الغربية، ولا سيما البلاد العربية**. هنا ظهرت الملامح الأولى لعلم جديد سوف يزعم لنفسه القدرة على علاج المجنون ككائن إنساني وهو الطب النفسي بقيادة كـــــل من

*لقد بدأ القلق ينتشر بين عامة الناس حيث ظهرت اشاعة بأن مرضا سريا خارج من المستشفيات و هو يهدد امن و سالمة المجتمع،فقد أصبح الجنون في نظرهم مرضا معديا كالبرص .

* إن الإهتمام بالجنون في تلك الفترة كان مرتبطا بالعوامل الاقتصادية لا الصحية ، فظهور العزل الأول كان سببه حسب أشار إليه فوكو هو إنتشار البطالة التي بنيت من أجلها السجون و المستشفيات أما الانشار السريع للمصانع فقد نتجت عنه استغلال اليد العاملة الرخيصة ، و هو ما يجسد حقيقة العزل الثاني .

**يذكر فوكو العالم العربي قد أنشأ مبكرا مستشفيات حقيقية للمجانين و مثال ذلك المستشفى الموجود في مدينة فاس وبغداد و القاهرة و قد كان العلاج يقوم على إستخدام الموسيقى و الرقص و مشاهد المسرحيات كما كان هناك أطباء متخصصون يشرفون على العلاج بأمانة.

[1] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ،ص 159.

بينيل الفرنسي **وتوك** الإنجليزي*** اللذين زعما بأنهما سيقومان بتحرير المجانين. لكن **فوكو** يقر العكس و يؤكد على أنهما قد زادا معاناة واستلاب المجنون، "فقد حرّراه جسديا أي عدم إغلال يديه بالسلاسل والقيود كما كان عليه أثناء الحجز، لكنهما قيّداه معنويا وهو أكثر قسوة من التقييد الجسدي" [1] .فهما لم يلغيا الممارسات السابقة للسجن والحجز الموسومة بالقهر والوحشية، بل زادها قوة من خلال إخضاع هؤلاء المجانين للقوانين الاجتماعية البرجوازية الأكثر صرامة، وبهذا أصبح المريض في تلك المصحات خاضعا للرقابة الأخلاقية والقسر الديني، فقد أصبح يشعر بالذنب في كل لحظة وأي انحراف عن النواميس الاجتماعية سيعاقب عليه أشد عقاب.

يحفر**فوكو** بواسطة منهجه الحفري في سجل مستشفى **بيساتر Bicêtre** الذي يديره هذان الطبيبان، "و يقرّ بأنه ليس مستشفى فقط بل و سجنا أيضا"[2] . و على هذا الأساس فإن تحرير المجانين الذي يعود فيه الفضل إلى **توك و بينيل** هو مجرد أسطورة، فعملهما يبقى في العمق إضطهاديا، ولتأكيد ذلك يقول **فوكو**:

> إن بينيل و توك في مواقفهما البسيطة التي رأى فيها الطب العقلي و الوضعي، وبشكل مفارق أصوله الأولى قد استنبطا الاستلاب، لقد وضعاه في السجن، وحدداه كمسافة فاصلة أصوله بين المجنون و نفسه، من خلال ذلك خلقوا الأسطورة والأمر يتعلق حقا بالأسطورة عندما نجعل من الطبيعة مفهوما،و نجعل من تحرير حقيقة ما بناء جديدا للأخلاق، ونجعل من شقاء عقلي سوى إندماج خفي في مجتمع صناعي. [3]

و بالإضافة إلى البعد الأخلاقي الذي أضفاه **بينيل** على الجنون فقد استخدم في مصحته طرق شنيعة للعقاب، هي الصمت، الاعتراف أمام المرآة، المحاكمة الأبدية، يصفها **فوكو** وصفا مأساويا، ويصبح حسبه هؤلاء الأطباء جلادين للمرضى لا محررين، لقد أدان فوكو أعمال الطبيبين اللذين حولا دور العلاج إلى محاكم تفتيش وهي في تصوره تجسد كل

[1] هاشم صالح، "فوكو فيلسوف القاعة الثامنة"، ص19.
[2] عمر بوجليدة، الحداثة و استبعاد الآخر،ط1 ،(الجزائر،ابن النديم للنشر و التوزيع، 2013)، ص 99.
[3] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص 158.
***بينيل هو طبيب فرنسي ولد في مقاطعة تارن بفرنسا (1754-1826) و كان يعمل في مستشفى بيساتر Bicêtre، و توك طبيب إنجليزي سعى لمعالجة المجانين و مساعدة بينيل

معاني اللاّإنسانية، يتفنن فيها الأطباء بمختلف أنواع التعذيب، وبهذا تتحول المصحات عن غايتها الطبية إلى جحيم محركه الأساسي الإقصاء والتهميش التعذيب.

لقد عاش المجانين حالة مفزعة سنوات طويلة داخل العزل، فقد عومل الأبرياء معاملة المذنبين، و هذا دليل على أن التغير من "الحجز إلى المصحة" لا يعني أن الجنون قد حصل على مرتبة إنسانية بل يعني ببساطة أن الإنسان قد غير علاقته القديمة بالجنون فلم يعد يدركه إلا منعكسا على سطحه هو و في عرض إنساني هو "المرض".يواصل **فوكو** استنطاقه لخبايا المستشفيات عن طريق منهجه الحفري ويذكر آليات الاستعباد التي ظهرت في هذا المكان المخصص في الأصل للإقصاء، الذي كان يدعو إلى الرعب و لاحتقار، فقد اخترع بدوره طرقا خاصة في القمع، بل الحقيقة أنها لم تكن شيئا آخر غير الطرق العلاجية التي اخترعها الحجز في ممارسة العقاب، فقد حول الطب إلى عدالة والعلاج إلى قمع، فهذه المصحات لم تكن بدورها موقعا علاجيا محضا، هدفه الأسمى تفعيل تقنيات التطبيب بأمانة، بل حمل طابعا قانونيا يجسد الاتهام والحكم والإدانة، يقول **فوكو**:"إن الطب في القرن التاسع عشر أصبح بمثابة، الهيئة العليا في المجتمع، إليها يرجع الفصل بين الأسوياء وغيرهم، وأمر تعيين من هو أحمق ومن هو عاقل". [1]

وفي هذا السياق يذكر **فوكو"** أن **بينيل** قام باستعادة بعض أساليب المعالجة المستخدمة في العصر الكلاسيكي، و لكن بإسباغ الصفة الأخلاقية و القمعية عليها".[2] حيث كانوا يضعون المريض مثلا تحت" الماء البارد" لكي يرطبوا روحه كما يزعمون، ثم إزداد الأمر قسوة فأصبح هذا الأمر قانونا تشريعيا، فلم يعد يرطب وإنما يعاقب، وأصبحوا يطبقونه على المريض إذا ارتكب خطأ ما، وإذا قاوم المريض ورفض الخضوع معنويا وأخلاقيا للقيم البرجوازية، فإنه يحشر في أعماق المصح، وإذا امتنع عن تأدية العمل الجسدي المكلّف به أو إذا ارتكب ولو سرقة بسيطة فإنه يوضع في زنزانة منفردة وتسلط عليه أشد أنواع العذاب، ومن المعروف أن الامتناع عن العمل والسرقة يشكلان أكبر خطيئة يمكن أن يرتكبها الإنسان في المجتمع البرجوازي، وبهذا أصبح المجنون مسؤولا عن كل أفعاله و مسؤولا عن العقاب الذي قد يلحقه.

[1] ميشيل فوكو، أركيولوجيا المعرفة، ص 154.
[2] هاشم صالح، "فوكو فيلسوف القاعة الثامنة"، ص 23.

وجه **فوكو** انتقادات لاذعة إلى المؤسسات الاستشفائية والأطباء،فقد اعتبر الطب الوضعي* الذي يعتبر من أهم الإنجازات التي ارتقت بالطب وطورته وهو آخر مرحلة من مراحل نزع الأساطير والخرافات المتعامل بها مع المرض، لا يقل تورطا وفظاعة عن ما ارتكبه **بينيل** في تاريخ الطب، فالوضعية حسب **فوكو** زادت من الغموض والتسلط في التعامل مع المرضى، يصف فوكو هذه الفئة من الأطباء بأنهم معدومي الضمير ولا يمتلكون روحا إنسانية فهم مجرد أذيال لسلطة مموهة و ذلك مبين في قوله:

> إن مارستان العصر الوضعي الذي يعود شرف تأسيسه إلى بينيل ليس ميدانا حرا للمراقبة والتشخيص العلاج، إنه فضاء قانوني متشبع بالوحشية والعنف المعنوي ولايمكن التحرر منه،إلامن خلال محاكمة المجنون في العمق السيكولوجي من خلال التوبة، سيعاقب المجنون حتى وإن تمت تبرئته خارجا،إنه محبوس منذ مدة إلى يومنا هذا داخل عام أخلاقي. [1]

يضيف **فوكو** قائلا " إن الوظيفة التي أسندت في القرن الثامن عشر للمشفى هو إتاحة اكتشاف حقيقة المرض و عزل كل ما يمكن أن يقنعها في وسط المريض ويشوشها ويعطيها أشكالا شاذّة ويحافظ عليها ويبعثها من جديد." [2] لكن المشفى في نظره يمثل أكثر من مكان للكشف، فهو مكان مواجهة بين إرادتين إرادة مضطربة يمثلها المجنون،و إرادة مستقيمة يمثلها الطبيب،يترتّب عن هذه المواجهة اصطدام محتوم،سيؤدّي الصراع الذي ينشأ انطلاقا من هذا الأمر إلى انتصار الإرادة السوية و إلى الخضوع والتخلي عن الإرادة المضطربة، إنها في نظر **فوكو** سيرورة معارضة وصراع و سيطرة.

لقد كان الأطباء حسب **فوكو** يطبقون طريقة مشوشة و يحرصون على قهر سلوك المرضى بكامله وهزم إدعاءاتهم وترويضهم وكسر غطرستهم" [3] .وبهذا امتلك الطبيب سلطة أخلاقية لا حدود لها، فيستطيع وحده إدراك حقيقة المرض بفضل ما يعرف عنه وهو الذي يستطيع إخضاعه للواقع بواسطة السلطة التي تمارسها إرادته على المريض، يقول

*الطب الوضعي: في مقابل الروحي.
[1] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص333.
[2] المصدر نفسه ،ص501.
[3] المصدر نفسه ، ص354.

فوكو: "لقد ظهر في هذا المناخ شخص يعتبر ممثل السلطة و السيادة ألا وهو "الطبيب النفسي" ليس باعتباره رجل معرفة وعلم بل باعتباره حكيما وضمانة قانونية وأخلاقية"[1]. فكل التقنيات والإجراءات المستخدمة في مستشفيات المجانين في القرن التاسع عشر،كالعزل والاستنطاق الخاص والعام، مثل الإستحمام والمعاملات المعنوية (التشجيع أو التوبيخ، العمل الإجباري، علاقات الإذلال والترويض والعبودية) أحيانا التي تربط المريض بالطبيب، تتمثل وظيفة كل ذلك في جعل شخصية الطبيب " سيد الجنون " وهو الذي يظهر حقيقته وهو الذي يسيطر عليه بعد أن يكون قد أثاره ببراعة.بهذا تكتسي شخصية الطبيب هالة مقدسة، ويمتلك بهذا معرفة علمية تماثل معرفة العالم الكيميائي والإحيائي، هذا ما يبرر امتلاكه لكل الصلاحيات التي تخوله لاتخاذ القرارات الحاسمة التي تفصل بين المجانين والأسوياء يقول **فوكو**:

تزداد سلطة الطبيب المحض بصورة
مذهلة بقدر ما تنقص مكانة المريض،
يصبح هذا الأخير بمجرد حجره مواطنا
بـلا حقـوق متروكـا لتعسـف الطبيـب
والممرضين الذين يستطيعون أن يفعلوا
به ما يريدون دون اعتراض أحـد .[2]

ومن هنا تأتي غرابة فوكو أنه يبحث عن علاقات السلطة من داخل المؤسسات العلمية، فالأطباء النفسانيون ليسوا علميين بقدر ما هم محصّلة لثقافة معينة تمارس سلطتها عليهم حتى دون أن يشعروا بها، و على ذلك فإن إيجاد دواء للمجنون ليس مسألة علمية بقدر ما هي مسألة كلية سلطوية.[3]

لقد حاول **فوكو** من خلال تحليله لآليات الحجز والإقصاء في المصحات أن يركز على الشخصيات الطبية، حيث أبرز الدور الذي كان يلعبه الأطباء، فبواسطتهم يستحيل الجنون استلابا و يصبح المرض العقلي عندئذ مرضا ممكنا، و ذلك موضح في قوله " إن ما نسميه الممارسة الطب - عقلية هي تكتيك أخلاقي معاصر لنهاية القرن الثامن عشر و حوفظ عليه

[1] ميشيل فوكو ، ، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ،ص 509.
[2] ميشيل فوكو ، دروس، تر: محمد ميلاد، ط1،(المغرب ، دار توبقال للنشر،1994)، ص ص 35، 37.
[3] ———— ، "في السلطة"، تر: عبد السلام بنعبد العالي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 33، بيروت، مركز الإنماء القومي، 1985، ص61.

في طقوس المارستانية والمحجوب بأوهام الوضعية." [1] يبين **فوكو** قصور هذه المؤسسات على تفسير الجنون تفسيرا حقا وعلى عدم نجاحهم في فهم جوهر هذه الظاهرة، بل لم يفعلوا شيئا سوى تقويتهم وتطويرهم لأساليب الحجز والهيمنة التي مورست في العصر الكلاسيكي، و في هذا السياق يضيف قائلا " فبقدر ما كانت الوضعية تفرض نفسها على الطب والطب العقلي خاصة كانت هذه الممارسة تزداد غموضا و تزداد سلطة الطب العقلي إعجازا." [2]

وفي هذا الوقت أتى **فوكو** على ذكر **فرويد** الإشادة به كونه " الوحيد الذي فهم جوهر العلاقة التي يجب أن تقوم بين الطبيب و المريض" [3] ، حيث قام بالكشف عن خدع البنيات المارستانية ومؤسسيها، لقد حرر المجنون من الصمت ومن كل أشكال القهر و الاضطهاد ولكنه بالرغم من ذلك لم يخلصه مما كان بشكل أساس الوجود. "لقد قام بتجميع سلطاته ووضعها بين يدي الطبيب" [4] ،وخلق بذلك الوضعية التي يجسدها الطب النفسي. لقد ذكر **فوكو** أن التحليل النفسي ظل قاصرا بحيث لا يستطيع سماع صوت اللاعقل وفك رموز علامات المجنون، **ففرويد** لم يفهم صوت الجنون، ولم يستطع تحريره ولا حتى تسجيل ما هو أساسي في هذا العمل." [5]

يخلص **فوكو** إلى أنّ المشفى اتخذت مكانا لعزل الأراذل من الناس ومكانا اعتبر سجنا لهم لمعاقبتهم أثناء حرمانهم من العلاج السليم بحيث لا تختلف المشفى عن السجن إلا في الاعتياد على أن الأولى علاجية والثانية عقابية، هذه الأخيرة محطة ظهرت نتيجة في الانتقال من العقاب إلى التفكير في تطوير آليات هذا العقاب للقضاء على فوضى المجانين. [6]

لقد ناضل **فوكو** بكل قوته للحد من القهر الذي تمارسه السلطة ضد المجانين، وفي خضم هذا النضال اكتشف أنّ السلطة لم تنحصر فقط في دور الحجز أو المستشفيات بل امتدت إلى كل مؤسسات المجتمع من مدارس، و ثكنات، وحتى في السجون، حيث تعرض المساجين أيضا لأقصى أنواع التعذيب. ويذكر **فوكو** المحنة الكبرى التي تعرض لها القديس

[1] ميشيل فوكو ، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص 513.
[2] المصدرنفسه، ص 512.
[3] المصدر نفسه ، ص 514.
[4] محمد المزوغي، في نقد ما بعد الحداثة، فوكو والجنون الغربي، ط1 ، (تونس ، منشورات كارم الشريف ، 2010)،ص 106.
[5] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص 515.
[6] رايس زواوي، في فلسفة ميشيل فوكو، بين الإنسان و الحيوان خيط رفيع،ط1،(دمشق، دار صفحات ، 2014)، ص 32.

داميان* وآليات تنفيذ العذاب عليه، كما وصف حتى الآلات التي كانت مستخدمة أثناء التعذيب ليبين فقط القمع والفظاعة التي يتعرّض لها المحكومين، موضّحا ذلك في قوله: " لقد اقتيد في عجلة ذات دولابين وهو عار إلى منصة الإعدام. وهناك تعرض إلى عذاب مرير في صدره وذراعيه ورجليه إلى درجة الموت". [1] لقد أكد **فوكو** أن أسباب ممارسة التعذيب بهذه الكيفية العلنية هو من أجل تعزيز فكرة القوة اللامتناهية للسلطة برموزها و ممثليها يقول **فوكو**:"إنه احتفال من أجل إقرار السيادة بعد جرحها لخطة انه يظهرها في كل أبهتها و تألقها، فالتعذيب العلني يضفي في عيون المشاهدين من الشعب، قوة لا تقهر و هدفه الأسمى هو إظهار عاقبة كل من يتجرأ على خرق القانون"[2]. هذا العذاب الفظيع كانت تمارسه الأنظمة الملكية على الملأ، "لنشر الرعب و الفزع لكل من تخول لهم أنفسهم تخطي الحدود الحمراء"[3]، التي رسمها لهم أمراؤهم و حكامهم، لقد وجهت هذه السلطة رسالتها للشعب حيث حملت في طياتها تهديدا رسميا لكل من يحاول التفكير في التمرد و العصيان، و هكذا تم توضيح الحدود الفاصلة بين ما هو مقبول و ما هو مرفوض، ما هو صحيح و ما هو خاطئ،إن الغرض من التعذيب هو بلوغ الحقيقة التي يجب أن تكون السلطة هي الناطق الشرعي باسمها حيث يؤكد ذلك قائلا:

> إن التعذيب من ناحية الغاية من وسيلة الإنتاج الحقيقة عبر التنكيل بالجسد، والتعذيب يجمع في آن واحد مفاهيم ثلاث هي السلطة، الحقيقة ،الجسد. [4]

يشير **فوكو** إلى قيام احتجاجات كبيرة من قبل الرأي العام تنادي بضرورة معاملة المذنبين بطريقة أفضل تزامن ذلك مع نجاح حركات الإصلاح التي نادت بالعدالة والحرية، ورفضت كل القوانين والتنظيمات، وهو ما أدى في النهاية إلى إلغاء ظاهرة التعذيب. لكن هذه الحيلة لم تنطل على **فوكو**، فهي شبيهة بالنقلة النوعية التي حدثت من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر أي من الحجز إلى مؤسسة الطب العقلي،الذي لم يكن الغرض

[1] ميشيل فوكو، المراقبة و العقاب، ص 48.
[2] المصدر نفسه ، ص 82.
[3] عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص 170.
*القديس داميان،مواطن فرنسي (ولد عام 1715-أعدم عام 1757)،لاعتدائه على الملك لويس الخامس عشر.
[4] أوبير دريفوس،بول رابينوف، ميشيل فوكو مسيرة فلسفية، ص 106.

من تأسيسه الإصلاح بل تقوية الاحتجاز، وإعادة بعث الممارسات السابقة لكن بصورة أبشع، وتبعا لهذا فظاهره إلغاء التعذيب ليست نوعا من الرحمة الإشفاق، يقول **فوكو**: " هو نوع من تحويل الآلام الجسمانية التي كانت تستعرضها السلطة السابقة في شكل مشهد علني إلى آلام نفسية ذات طابع أخلاقي أكثر دقّة وتفنّنا".[1] لقد رفعت السلطة يدها على الجسم في ماديته، وانحصر بهذا دور الجلادين لكن سيقوم محلهم جيش من الأطباء والمراقبين والوعاظ المربيين، و سيكون دورهم الرئيسي تحديد طبيعة الجريمة وفقا لمعايير علمية تعسفية. لقد توصّل **فوكو** إلى حقيقة مفادها أن المستشفيات والسجون كانت رمزا صارخا لتعسف السلطة الملكية واستبدادها، حيث تحوي في داخلها أماكن تمارس فيها كل أشكال الإهانة والتحقير والتشويه والتعذيب.

نستخلص في الأخير أنّ كلا من الجنون و المرض و السجن بنيات قائمة بذاتها لها مفاهيمها و آليات عملها و طرق تشكلها، "حيث تتفاعل فيما بينها هذه "البنية" يمكن أن نطلق عليها بنية الإقصاء والنبذ".[2]

هـ/ردود فوكو على ممارسات السلطة ضد الجنون:

رفض **فوكو** رفضا تاما الإكراه الممارس من طرف السلطة على المجانين، سواء أكان معنويا أو جسديا، ودعا إلى ضرورة اعتبار المجنون كائنا إنسانيا له جميع الحقوق المدنية مثله مثل الأسوياء،وكما حرص على محاولة إيقاظ الضمير الإنساني في شخص الأطباء والحكام، وكل من لهم صلاحية في ممارسة السلطة،لقد حاول **فوكو** من خلال حفرياته بعث الإنسانية من جديد في المجتمع الغربي، بعد أن زال أثرها نهائيا، كما أراد توعية الأطباء للتحلي بالأمانة والصدق اللذين يعتبران من أهمّ الشروط التي تبني علاقة الأطباء بالمرضى، وذلك بالابتعاد عن التلفيق والخداع بغرض الحصول على التقدم العلمي كما فعل كل من **بينيل وتوك**، فقد انخرطا ومن معهم في عملية نفعية لصناعة الجنون، كما وجه خطابا مباشرا للأفراد داخل المجتمع، كونهم شايعوا هؤلاء الأطباء وثبّتوا آرائهم وذلك فقط كونها تتيح لهم الحلول السهلة في التعامل مع من خرج على الأعراف من خلا زجه في

[1] ميشيل فوكو، المراقبة و العقاب، ص 103.
[2] عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، ط1 ،(الجزائر،منشورات الاختلاف، 2007)، ص 61.

السجن وبدل أن ينادوا بتحرير المجانين ساهموا مساهمة كبيرة في إلصاق التصنيفات الطب العقلية بهم، حيث وصفوهم بالأوبئة الاجتماعية والشواذ والمشاكسين.

لقد أراد **فوكو** أن يعدّل من أهداف و مضامين السلطة، و تمنّى لو يعاد بناء صرح جديد من القوانين والقواعد التي تنظم المجتمع ضمن حدود العدالة و المساواة، فبدل أن تكون السلطة قمعية، كما هو عليه الحال في المجتمع الغربي، تصبح ميزانا لا يظلم من حكمه أحد. ثم وضح عن رغبته في أن يصلح حال المستشفيات الغربية كما هو الحال في المستشفيات العربية، لأن هذا المكان المخصص للمرضى و للمجانين خاصة هو بمثابة الملاذ الأخير لمن هم في مثل حالتهم.

تأثر **فوكو** تأثيرا بالغا من فرط القمع الممارس على هذه الفئة، فنذر فلسفته للهجوم ضد كل الجهات التي تحاول القضاء عليها و إسكاتها، و الدليل على ذلك أنه حاول طيلة سيرته الفلسفية الكشف عن ألاعيب الحقيقة، و ذلك بالفحص عن معايير التصنيف و الاستبعاد التي يتم على أساسها التفريق بين الكاذب والصحيح،"وكل ما يسكت عنه الخطاب أو يستبعده أو يهمشه، ما لا يمكن التفكير فيه أو ما يمنع التفكير فيه أو ما لا يراد معرفته". [1] لذلك انشغل **فوكو** في موضوعات متميزة، لم يسبقه إليها الفلاسفة، حيث قام بملامسته جرح الإنسان المهمش، و نادى بحقوق الأقليات و المنبوذين و حمل على عاتقه مهمة إعادة الاعتبار لهذه الفئة التي قذفت خارج الخطاب العقلاني.يقول **فوكو**: " لا يمثّل دور المفكر حاليا أن يحدّد للآخرين ما يجب فعله أو أن يعمل على تشكيل الإرادة السياسية للآخرين بل يكمن دوره في إعادة مساءلة البديهيات والمصادرات عن طريق التحليلات التي يقوم بها في المجالات الخاصة به وفي زعزعة العادات وطرق العمل والتفكير وفي تبديد المألوف المسلم به وفي استعادة حدود القواعد والمؤسسات وفي المشاركة من أجل تكوين إرادة سياسية ترفض السلطة بكل أشكالها، وأنواعها و تجلياتها."[2] يقصد **فوكو** أنّ مهمة المثقف الحقيقية هي تعرية و كشف ميكانيزمات السلطة ورصد بذورها في ثنايا المكان الاجتماعي، و إفساح المجال أمام الذين تجعلهم السلطة موضوعاتها كالمساجين و المجانين، ليقولوا كلمتهم و يسمعوا خطابهم الخاص.

[1] علي حرب، نقد النص،ط4 ،(المغرب، المركز الثقافي العربي، 2005)، ص 135.
[2] فرانسوا إوالد، "محاورة مع فوكو"، تر: محمد ميلاد، كتابات معاصرة، العدد21، أيار 1994، ص 96.

يؤكد **فوكو** أن الخطاب السائد في كل عصر هو خطاب سلطة، خطاب ينظم و يراقب و يقصي ويسد على الناس في مقولات معينة، "ويملي عليهم ما يمكن قبوله و ما يتعين السكوت عنه". [1] و هذا الخطاب يحكم قبضته على البشر كما هو الحال بالنسبة إلى وضعية المجانين في المجتمع الغربي، الذين صنفوا في خانة فارغة، باعتبارهم أشكالا ناشزة، وذلك كله في عصر كان ينادي بالحرية والاستقلالية باسم سلطان العقل والعقلانية.

لقد أعاد **فوكو** التفكير في مسألة العقل في ضوء أسئلة الحمق و الجنون و ضمن هذا الأفق حاول أن يحلل موضوع الجنون ليس الجنون بوصفه تجربة داخل ثقافتنا، وتعيين الجنون بوصفه قاعدة تكونت من خلاله سلسلة من المعارف المختلفة مع تحليل أشكال تطوّرها، أي الجنون كأرضية للمعرفة الطبية ولطب الأمراض العقلية وعلم النفس و علم الاجتماع، والجنون بوصفه شكلا من المعرفة الذي تكوّنت حوله نظم من المعايير، معايير تسمح بتصنيف الجنون باعتباره ظاهرة انحرافية داخل المجتمع. يقول **فوكو**: " أردت دراسة الجنون بوصفه نوعا من نمط وجود الذات السوية في مقابل الذات المجنونة." [2]

لقد اهتمّ **فوكو** بهذه الشريحة من المجتمع التي سلبت حقها في الحياة الطبيعية، من قبل نظام ديكتاتوري طبقي، تحت سلطة طبقة تفرض نفسها بالعنف باسم القانون والدستور،"حيث حاول الوقوف على حقيقة مفهوم الجنون الذي يمثل الوجه الآخر للثقافة الغربية" [3] .كما سعى إلى تشريح مفهوم السلطة من خلال مؤسستين كبيرتين هما السجن و المستشفى، حيث ركّز في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي على فضح ممارسات الخطاب السلطوي الغربي، الذي ادعى أن هدفه الأساسي الإصلاح و العناية والاهتمام بضحايا المرض العقلي، لكنه انطوى على قرارت تبدو للوهلة الأولى إنسانية لكنها في جوهرها غاية في الفظاعة و اللاإنسانية، "فبقرار إداري بسيط بدأ العمل بتقسيم المجتمع ليس إلى أناس خيريين و شريرين، لكن إلى عقلاء و مجانين" [4] . و هنا تظهر العلاقات الغامضة التي يقيمها الغرب و تأطرها السلطة،" فولادة السجن و ظهور المصح العقلي لم يكن نتيجة رغبة المجتمع في حماية المجانين و إيوائهم بقدر ما هدف إلى العكس

[1] محمد سبيلا، مدارات الحداثة، ط1،(بيروت، الشبكة العربية الأبحاث و النشر، 2009)، ص 91.
[2] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، ص310.
[3] حيدر ناظم محمد، إشكالية الفلسفية من النقد الأركيولوجي إلى الإبداع المفهومي، قراءة في فلسفتي ميشيل فوكو و جيل دولوز، ط1،(الجزائر،إبن النديم للنشر و التوزيع، 2015)، ص 112.
[4] موريس بلانشو، "ميشيل فوكو كما أتخيله"، تر: هواري إدريس، مجلة مدارات فلسفية، العدد 16، 1 يونيو 2008، ص ص 175، 198.

و هو حجر تلك الفئات التي لا تملك محلا و لا دورا في الحياة". [1] باعتبارها كائنات غريبة و خطيرة، و كل هذا كان تحت ستار العلاج الطبي.

إنّ دفاع **فوكو** عن هذه الفئة من المجتمع لا يقصد به امتداح الجنون أو القول بأن الجنون أفضل من العقل، "بل كان يرمي إلى إثبات أنّ الجنون ليس كيانا مستقلا يمكن أن نرسم حدوده وأن نحدّد معالمه وإنّما هو علامة مسجّلة في صميم وجود الواقع الاجتماعي". [2] فإذا كان المجتمع و السلطة يوحدان بنيه وبين الانحراف والجريمة والشذوذ وسائر الأمراض التناسلية، فينظر إليه انطلاقا من هذا نظرة سلبية دونية باعتباره ضربا من الخروج على القاعدة وعلى جادة الصواب، نجد أن **فوكو** يذهب أبعد من هذا حيث ينسب إلى الجنون معنى إيجابي ينادي بضرورة الكشف عنه و فهم جوهره لأنه بالرغم من كل أشكال التهميش والنبذ الذي يلحق به، و على الرغم من محاولة طمسه و إسكاته، إلا أن للجنون دلالة وقيمة اللغة، فضلا عن أن من شأن مضامينه أن تكتسب معنى داخل هذا العالم الذي يدينه ويقصيه .يقول **فوكو**: "إن حقيقة الإنسان حسب **فوكو** لا تتكشف إلا مع خطر الجنون." [3]فمن ظلام الجنون تنبثق الحقيقة.

[1] رضوان زيادة،"معنى الحقيقة في خطاب ما بعد الحداثة"، مجلة يتفكرون، فصيلة فكرية ثقافية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ص 100.
[2] المرجع نفسه، ص 116.
[3] رشيد حاج صالح، "الإنسان في عصر ما عبد الحداثة"،مجلة الرافد ، العدد 46 ، ماي 2003 ، ص 62.

الفصل الثالث:الانتقادات الموجهة لفكر لميشيل فوكو

أ/المؤيدون لطرح فوكو

ب/الرافضون لطرح فوكو

1/المؤيدون لطرح فوكو:

لقد أعجب بعض الفلاسفة بأفكار **فوكو** ولاقت فلسفته الكثير من القبول والاستحسان خاصة فيما يتعلق بمنهجه في تحليل الخطاب الموسوم **بالأركيولوجيا،** لقد تميّز **فوكو** بحفرياته في خطابات البشر،لقد كان الخطاب قبله بداهة لا تناقش وموضوعا مستبعدا من دائرة النظر،لكن تغير الأمر مع **فوكو،**"الذي أخضع هذه الممارسات للدرس والإستقصاء"[1].فبحث عن قواعد تشكيل الخطاب وانبنائه وانتشاره وكشف عن آليات الاستبعاد التي يمارسها،فيما يخص إنتاج الحقيقة وصوغها،فالحقيقة ليست في نظر **فوكو** واقعا ينبغي الاهتداء إليها،بل هي تجربة تاريخية تجعل التفكير في الوجود أمرا ممكنا،لقد سعى **فوكو** جاهدا إلى الكشف عن مظاهر الإكراه والإقصاء الذي لحق بالمجنون،هذه المظاهر هي الشاهد على حقيقة المجتمع الغربي المزيف وهي أداة الكشف عن قناع العقلانية والتنوير،لقد إستنطق **فوكو** الأماكن التي اضطهد فيها المجنون والأدوات التي كبّل وقيّد بها،لقد عاين الواقع المعاش،واشتغل على مادة الأرشيف من أجل اكتشاف العوامل والمقومات العميقة التي تقبع خلف الإكراه الممارس على المجنون بالتواطؤ مع النظرة الطبية ومختلف المؤسسات. لقد ساهم المنهج الحفري الذي اعتمده **فوكو** من نقل علم الآثار من مكانه المعتاد،حيث كان يعنى بالحفر والتنقيب عن خفايا وأسرار الماضي إلى ميدان جديد حيث وظفه لدراسة الأحوال النفسية كالجنون والتعذيب،هذا العمل القيّم نال إعجاب **ميشال سير MICHEL SERRES** حيث أشاد بأهمية كتاب تاريخ الجنون في العصرالكلاسيكي في قوله:"إن كتاب تاريخ الجنون بمثابة علم أثريات الأمراض العقلية"[2].هذا الزخم الفكري والعطاء المتواصل **لفوكو** جعله يستقطب العديد من المفكرين الغرب خاصة **إديت كريزويل** " التي أعربت عن إعجابها الشديد بالتاريخ الاجتماعي"[3]. **لفوكو** كونه يركز على الصلات الخفية بين المؤسسات الاجتماعية والأفكار والعادات

[1] علي حرب،نقدالنص،ص144.
[2] جوزي مركوار،الانغلاق الكبير،تر:عبد الرزاق جيلالي،مجلة دراسات عربية،بيروت ،العدد12 ،1989،ص101.
[3] إديت كريزويل،عصرالبنيوية، ص324.

وعلاقات القوة،ويهتّم اهتماما خاصا بالطريقة التي تتغير بها بنية المجتمع بتبديل مفاهيم السواء والانحراف.وحينما يكتب أطروحته حول الجنون فإنّه يستعين دائما بالتعارضات والتحولات البنيوية ليكشف عن أنّ من بيدهم القوة في المجتمع يمتلكون شفرات سريّة،أو مخططات تخفي القمع في المجتمعات البرجوازية الحديثة ومسعاه في ذلك يعكس طابعه الخاص فهو فريد في تأثيره على من حوله،كونه مفكر يناغم بين النظر والممارسة،ومفكر يتباعد عن النظرات التقليدية للتاريخ.إنّ كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي حسب **اديت كريزويل** يتضمن أفكارجريئة،يبتعث **فوكو** من خلاله وجود "المرض العقلي" خلال زمانه ومكانه ومنظوره الاجتماعي،يركز تركيزا مباشرا عن قوة السلطة والتي تتمثل في الأطباء،وانطلاقا من هذا تقرّ**اديت كريزويل** "بعبقرية **فوكو** التي لا تلتقط إلا الغريب والشاذ لتجعل منه شيئا محتوما صادقا**"**[1].تختم **اديت كريزويل** قائلة:"اذا كنت أفهم **فوكو** فهما سليما فإني أراه يتنبأ بنهاية عصرنا**"**[2].لأنه عصر بلا مخرج،فتنبؤاته عن النهاية متينة الأساس لأننا على أهبة انقطاع ليس في المعرفة فقط بل في الممارسة،وإذا كانت حقبة الإنسان قد انتهت فإن تحليله ينطوي بالفعل على بذور الحقبة القادمة،أما جدية **فوكو** التي تقدر موضوعيا قدر كل من الفلسفة والمعرفة وتتجاوزها فإنها تستدير إلى نفسها بالسخرية متجنبة الاختزال والتبسيط المخلّ، لتجعل منه واحدا من عباقرة عصرنا حتى ولو ظلت شفراته مطمورة للأبد.يثمن جيل **دولوز** كتابات **فوكو**، فعندما سئل عن العلاقة التي تربطه **بفوكو** أجاب قائلا:"فوكو فيلسوف عظيم وهو أيضا مبدع في مجال الأسلوب، اكتسب الثقافة معه معنى جديدا يرفض منهجية الكليات و يكتشف سيرورات متميزة دائما تنشأ داخل التعدديات، إن ما أثر في أكثر من سواه هو نظريته الخاصة بالخطاب**"**[3]. لقد ظهر **فوكولديلوز** كأنه الأول الذي ابتدع تصورا جديدا للسلطة ، تصوّرا كان الكلّ يبحث عنه دون أن يعرف كيف يعثر عليه ويصوغه،فالكتابة عند **فوكو**"هي أن نصارع ونقاوم،أن

[1] اديت كريزويل،عصر البنيوية،ص333.
[2] المرجع نفسه،ص340.
[3] ريمون بيلور و فرانسوا أوالد، جيل دولوز الفيلسوف المرتحل(حوارات)، ضمن كتاب من تأليف لفيف من الفلاسفة مسارات فلسفية : تر: محمد ميلاد، ط1، (سوريا، دار الحوار للنشر و التوزيع، 2004)، ص 59.

تكتب معناه أن نصير،أن نكتب معناه أن نرسم الخرائط**"**[1].إن تحليل **فوكو** للسلطة ومساءلتها قد هيّأت لتغيّير ظروف الحياة في المستشفيات والسجون،فمن خلال عمل هذه المؤسسات يبدأ **فوكو** هجوما غير مباشر ولكن عميق جدا،هذا المنحى التحليلي للسلطة يدعمه الفيلسوف **ميشال دوسارتو** حيث يوافق **فوكو**"على طابع الجبروتي الذي يميّز السلطة القائمة على مبدأ الإكراه والعقاب في كل مجتمع تسوده البرجوازية المعقدة،التي تحبس المنبوذ لإنشاء المكان الذي يجعل نظام العقل ممكنا**"**.[2]

إنّ أهميّة **فوكو** الفكرية جعلت العديد من المفكرين يدافعون عن فلسفته خاصة فيما يتعلق بالتاريخ،حيث أعجب مؤرخ والحوليات مثل **ماندروبروديل** و**بول فاين** الذي عنون أحد مقالاته "**فوكو** يثور التاريخ**"**[3]. لقد استحقّ حسبه لقب"مؤرخ مكتمل"،لقد اعتبر هذا المؤرخ الفرنسي أن أعمال **فوكو** تعتبر الحدث الفكري الأكثر أهمية في قرننا ،وكتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي مثال على ذلك،فهو يرتكز على تعريف المرض العقلي الذي يستمد سلطته من الطب النفسي،لقد أراد **فوكو** من خلاله أن ينير المناطق المظلمة للجنون حتى يمكن للمجنون في النهاية أن لا يكون ضحية للقوى السلطوية.

إنّ ما يثبت أهمية أطروحة **فوكو** حول الجنون،كونها مزوّدة بالشّواهد وبالنّصوص المدعّمة ،حيث اعتمدت بحوثه التاريخية على عدد هائل من الوثائق التي تصف علاقة الجنون وطب النفس،إن الجديد في معالجة **فوكو** للجنون هو ربطه بالقضايا الاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية،وذلك فقط ليثبت فعل التهميش على الطبقة البرجوازية وغيرها من المؤسسات.

ويرى **بيترل بيرجر** انّ ما قام به **فوكو** من إعادة بناء للتاريخ ، يعتمد على كل المصادر الممكنة و يشمل معظم السجّلات المدنيّة و السير الذاتيّة والأرشيف القومي والخطابات

[1] جيل دولوز،المعرفةوالسلطة،مدخل لقراءة فوكو،تر: سالم يفوت،ط1،(بيروت ،المركز الثقافي العربي ،1987)،ص127.
[2] ميشال دوسارتو،ابتكارالحياة اليومية،فنون الأداء العلمي،تر:محمد شوقي الزين،ط1،(الجزائر، منشورات الإختلاف،2011)،ص109.
[3] بول فاين،أزمة المعرفة التاريخية،فوكو وثورة في المنهج،تر: ابراهيم فتحي،ط1،(الأردن،دار الفكر للدراسات والنشر،1992)،ص104.

غيرالمنشورة في الروايات، والهزليات والشعر، وهذا يدلّ على أن **فوكو** يهتم بالتوصيفات الدقيقة، كما اعتمد على الوصف ليجمع حقائق تصلح لدراسة مستقلة ليبيّن سوء المعاملة والقسوة التي يتعرض لها المجانين،"لم يسعف كتاب تاريخ الجنون في العصرالكلاسيكي **فوكو** فقط بمادة خام لأعماله اللاحقة بل بمدخل للتاريخ متعدد الميادين المعرفية وعالمي وتركيبي**"**[1].وهو مدخل أكسبه الثناء عليه ومثّل مشروعا كبيرا صاغ من خلاله منهجه الحفري،وبعيدا عن الهجوم على **فوكو** والقول بأنه أظهر أساطير الوضعية أو أسطورة سمو الأطباء على غيرهم،فإنه لم يفعل سوى ذلك فقط،وهولا يسند الدوافع الشريرة إلى الأطباء الأفراد بل يبين كيف تقوم الاكتشافات العلمية بنفسها بدفع الأطباء للاعتقاد في سلامة أفكارهم،إلا إذا أثبت آخرون خطأها ممن لهم اكتشافات تعارض اكتشافاتهم. لقد استحق **فوكو** "لقب مؤرخ للفكر**"**[2].حيث سعى من خلال دراسته حول الجنون بتغيير المجتمع عامة والمساهمة في تغيير أوضاع المستشفيات المزدحمة خاصة، والدعوة لرعاية المرضى والتكفل بحالتهم التي كانت تعتبر في نظرة مروعة ومفزعة،"حيث حاول جاهدا تجسيدها وتمثيلها في حيل بلاغية من جناس واستعارة لها مكانة أكثر من المعنى**"**[3]. فأسلوب **فوكو**" أصدق تعبير عن ثقافة عصره ثقافة الاقصاء والتهميش**"**[4].وتجربته عن الجنون هي أعمق تجربة فلسفية قد خاضها وما كان الهجوم على القهر وعلى خطاب عصرنا العلمي سوى بناء لخطاب **فوكو** الخيالي الذي وجهه للمثقفين الفرنسيين الذين ألفوا عدم الإنصات للغة الجنون والمرض . يرى خصوم **فوكو** أنّ عمله متنافر، بل مبعثر فقد يبدو غير مترابط بالمقارنة مع أولئك الذين لا يتخذون إلا مسارا واحدا، لأن مسارا فكريا غير متجانس* فهو حسبهم لا يمتلك طريقة موّحدة وثابتة إذ تخضع عمليات بحثه المتتابعة

[1] بيترل،بيرجر،التحليل الثقافي،تر: فاروق أحمد،بدون طبعة،(مصر،الهيئة المصرية العامة للكتاب،2009)،ص214.
[2] فاديم روزين،التفكيروالإبداع،تر: نزار عيون السود،بدون طبعة،(سوريا،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب،2011)،ص83.
[3] المرجع نفسه،ص245.
[4] كريس هوروكس،زوران جفتيك،فوكو،تر: أمام عبد الفتاح،ط1،(مصر،المشروع القومي للترجمة ،2002)،ص53.

لقواعد متغيّرة، تبتغي أهدافا مختلفة بالإضافة إلى أن هذا المبتكر للمفاهيم، يبتكرها بغزارة ويتخلّى عنها بلا حرج كي يخلق على الفور مفاهيم جديدة إن الأمر متصل ببحث حيّ في صيرورة دائمة وتجدد باستمرار، لم يكف **فوكو** نفسه عن المطالبة بضرورة حريتـــه بالكتابة عن المهمّش وعن اللامفكّر فيه وعن الدّفاع على الجنون والمجنون ،لقد كتب في بداية كتابه حفرياته المعرفة "لا تسألوني من أنا، ولا تطلبوا منّي أن أبقى الشخص نفسه".[1]

وهذا ما يدلّ على أن طريقته في الكفاح والتفكير تتميز بكونه فيلسوفا مبدعا ومتجددا قادرا على تغيير منظوره أوتكيّفه إلى مالا نهاية،"لقد أحدث في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي قطيعة مع وجهة النظر المعتادة والتبسيطية"[2].حيث يدرس وبكل عمق حركة الفصل التي تكوّن العقل من جانب وقرينه المرعب من جانب آخر،حيث يلتزم بإبانة كيفية التحوّل الجذري للخطابات والممارسات الاجتماعية،ويثبت أن أجهزة المعرفة وأجهزة السّلطة وجهان لعملة واحدة،وبهذا فهو يوّفر الفرصة لمعالجة ظاهرة الجنون بطريقة أكثر تعقيدا أو دقّة في تناول الأحداث التاريخية.

سعى **فوكو** إلى محاولة تأسيس فلسفة تسعى إلى تغيير الواقع عمليا لكي يصبح أكثر حرية وأكثر عدالة وأقلّ ظلما،"لقد حاول أن ينصر الإنسانية من خلال نصرته للجنون"[3].فهو لا يقبل أن تعتبر الحضارة الغربية ومقولاتها وإيديولوجيّاتها بمثابة القانون الكوني والبديهيات التي لا تناقش، وهذا ما جعله فيلسوفا حقيقيا تنطبق عليه مقولة **نيتشه** التي تحمل في معناها"أن المفكر الحقيقي ليس الذي يحكم ويسن القوانين ويقول ما يجب أن يكون بل هو الذي يحدّد معنى وسبب كل تطوّر إنساني"[4].لكي يستطيع أن يمضي بالفكر نحو المستقبل ومن أجل إتمام **فوكو** لمهمته كل ما كان موجودا لا يصلح له كوسيلة فحسب بل كأداة ومطرقة أيضا، وإذا كانت المعرفة بالنسبة إليه إبداعا فإرادة الحقيقة لا تعني شيئا

[1] ميشيل فوكو،اركيولوجيا المعرفة،ص18.
2 المصدرنفسه،ص230.
*من حيث أن فوكو يمضي من الجنون خلال العصر الكلاسيكي إلى ولادة العلوم الإنسانية إلى ولادة السجون،مرورا بالنظرة الطبية أو بمحفوظات الباستيل دون نسيان مؤلفات ريمون روسيل أو مانيه،بين الأدب والتفكير الجمالي.
[3] هاشم صالح ،"فوكوفيلسوف القاعدة الثامنة" ،ص29
[4] نقلا عن عبد العزيز بومسهولي،أفول الحقيقة،بدون طبعة ،(المغرب، إفريقيا الشرق،2004)،ص86.

آخر غير إرادة القوة، وهذا ما جعل **بيير بورديو*pierre Bourdieu** يقر" بأن **فوكو** أضفى النبالة على العلم الإنساني وحوّله إلى علم ملكي"[1].استناد إلى **الأركيولوجيا** التي كانت تعبيرا واضحا عن الجهد الذي كان يبذله الفيلسوف، ومن ثمّ فقد جاء في نعيه **فوكو** الذي صدر في جريدة لوموند 1984، أنّ **فوكو**" قد أحسن صنيعا أن جعل فكره مناضلا"[2]،لقد زاوج بين الحكم الأخلاقي والحكم على الأخلاق ولم يحمل في ذلك لبسا،"كان **فوكو** أقرب إلى فؤاد **بورديو** من سواه"[3].ولقد ألمح أن تجربة **فوكو** الفلسفية كانت تجربة خرق، بكل ما تحمله الكلمة من معاني، فالخرق معناه الخروج عن القوانين وفعلا قد خرج **فوكو** عن القانون الذي شرعه الغرب، وعن الحدود الحمراء التي حرم تجاوزها، وطرح من خلال تجربته **الأركيولوجية** مشكلة العقل في الصميم، وبالتالي مشكلة الجنون التي تحيط بالعقل من كل جانب، بل ويختلط به أحيانا، كما طرحت مشكلة السلطة في المجتمعات الغربية، وكيفية اشتغالها، وممارستها التعسفية ضد المجنون، لقد عبّر إذن **فوكو** بكل حرية وبكل تلقائية ومن دون موانع أو قيود لكي يتجلى المكبوت وتظهر الحقائق من دون زيف.

شدّت فلسفة **فوكو** انتباه المفكرين العرب، حيث انتشرت أعماله انتشارا واسعا في الفكر العربي الحديث، وربما يكون هذا الانتشار هو بسبب نتيجة الترجمات المختلفة للنصوص وعدد الدراسات المختلفة التي تناولت فكره ومن بين هؤلاء المفكرين نجد **إدوارد سعيد** الذي يبدو متأثرا **بفوكو** في كتابه الإستشراق[4]،حيث أعرب عن المساهمة الكبيرة التي يقدمها **فوكو** في ميدان دراساته التاريخية، ولم يخف **مطاع صفدي** إعجابه الكبير **بفوكو** أيضا، حيث كان **فوكو** حسبه منهمكا حتما بتركيز ثورة جديدة في قراءة المشروع الثقافي الغربي، فمن خلال منهجه الحفري، قدّم **فوكو** وثائق مهمة تكشف بدورها

[1] بيير بورديو،بعبارة أخرى، تر: أحمد حسان،ط1،(الأردن،ميريب للنشر والتوزيع،2005)،ص23.
*بيير بورديو،مفكر فرنسي(.2002،1930)اهتم بالسوسيولوجيا .
[2]-BOURDIEU PIERRE، " LE PLAISIRE DE SAVOIRE"، ARTICLE IN LE MONDE ، N°12260، DU 27 JUIN 1984، p10
4 بيير بورديو،كلودباسرون،إعادة الإنتاج،تر:ماهوترميش،ط1،(مصر،مركز دراسات الوحدة العربية،2007)،ص28.

[4] ادوارد سعيد،الإستشراق،المعرفةوالسلطة،الإنشاء،تر:كمال أبو ديب،ط2، (بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1984)،ص2.

عن لعبة العقل الغربي الذي أقصى المجنون واستبعده،حيث حاول أن يسهم في تحطيم هذه اللعبة من خلال انتقاداته المستمرة للطابع السلطوي الذي تميّزت به المجتمعات الغربية،يقول **مطاع صفدي** "أظن أن هذه **الأركيولوجيا** قد تحقق ما كان يطمح إليه كل المنعطف الفلسفي الكبير الذي اكتشفه **فوكو** ووقف على تمفصله الفريد، من حيث أنها أعطت للفلسفة ربما لأول مرة في هذا العصر وثيقتها الفعلية وحفريتها في أرض التاريخ"[1].هذا المنهج **الأركيولوجي** استعمله **محمد أركون** أيضا في كتاباته وذلك موضح في قوله"فالطريقة الحفرية هي وحدها القادرة على إثارة مشكلة مازال التاريخ المثالي يخفيها"[2].فقد دعا إلى دراسة الأديان عبر **التحليل الإبستمولوجي** مستفيدا من "منهج **فوكو الحفري** وذلك بأن نعيد قراءة القرآن من جديد قراءة نقديّة متخصّصة"[3].لا قراءة إيديولوجية وذلك من أجل فهم المناخ الفكري والنفسي للشخصية العربية، وأن نحفر في اللاهوتية الراسخة داخل السّياج الدوغمائي المغلق لكلّ طائفة، ولكلّ دين ،لكي ننزع القناع عن تاريخية كل هذه العقائد،كما استخدم **محمد أركون** مصطلح **الإبستمي** الخاص **بفوكو**، فقد حاول دراسة العلاقات الخفية بين مختلف العلوم الكلاسيكية من فقه ولغة ونحو،إبان العصر الكلاسيكي ،ثم عصر الإتّباع ، ثم العصر الحديث وهو يشبه ما درسه **فوكو** عن أنظمة الفكر التي تعاقبت على أوروبا منذ العصور الوسطى إلى الكلاسيكي إلى الحداثة ،ولكن استخدم أركون مصطلح آخر لدلالة على **الإبستمية** وهو مصطلح **"الفضاء العقلي"L'espace Mental"**[4]،فبتطبيقه لمفهوم **الإبستمي** على الفكر العربي المعاصر نستطيع أن نفهم وبعمق أكثر أشد المستويات الفاعلة في هذا الفكر فهو يتيح لنا أن نكشف أسرار مدهشة حول طبيعة وكيفية اشتغاله.لم يقتصر تبنّي المنهج الأركيولوجي على **أركون*** فقط بل تعداه أيضا إلى مفكر عربي آخر من كبار المفكرين ألا وهو **محمد عابد**

[1] مطاع صفدي،الحداثة البعدية،مقدمة كتاب الكلمات والأشياء،لميشيل فوكو،ص ص7،9.
[2] محمد أركون،أين هو الفكر الإسلامي،تر: هاشم صالح ،ط2، (بيروت،دار الساقي ،1990)،ص34.
[3] هاشم صالح، "جولة في فكر محمد أركون" ، مجلة مواقف،العدد 49،1984،ص3.
1 محمد أركون،أين هو الفكر الإسلامي ،ص7.
*مايجدر بنا ذكره هو أن القارئ لا يستطيع فهم فكر محمد أركون،وإرتباطه بفوكو،من دون الرجوع والإطلاع على كتبه التي سيجد فيها كيفية استخدام أركون لمصطلحات فوكو وخاصة مصطلح الإبستمي .

الجابريحيث قدّم مشروعا في نقد العقل العربي،الذي بدأ به مشروعه النقدي على أساس من التحليل **الإبستمولوجي**،يقول **محمد عابد الجابري:**"إن وجهتنا هي تحليل الأساس **الإبستمولوجي** للثقافة التي أنتجت العقل"[1].حيث وظف **الجابري** نظرية **الإبستمي** في تحديد مفهوم العقل العربي،" بوصفه النظام المعرفي** أي الإبستمي الذي يعني جملة المبادئ والمفاهيم والإجراءات تعطى للمعرفة في فترة تاريخيّة ما، بنيتها الشعورية"[2]. فعندما نقول بنية العقل العربي، بمعنى ثوابت ومتغيرات الثقافة العربية التي صنعته، لقد استخدم الجابري **المنهج الحفري** في الثقافة العربية والمجتمعات الشرقية "ليبيّن كيف أن واقع السلطة،مظهرا وجوهرا قائمة على تقنية قوامها حاكم واحد يقود الشعب برمّته"[3].وليس من حق الشعب التدخل في أي أمر يخص الدولة .

ومن هنا يتضح لنا أن أثر **ميشيل فوكو** يظهر جليّا من خلال تبنّي أفكاره من قبل العديد من الباحثين والمفكرين،من أجل تأسيس دراسة **أركيولوجية** يتم استنباط خفاياها والأسرار التي تقبع خلفها.

ويمكن أن نستخلص نتيجة مفادها أن سبب رواج فلسفة **فوكو** وانتشارها في العالم الغربي والعربي كونها تحمل دلالات إنسانية،وما يزيد فاعليّتها مجموع المفاهيم التي ابتكرها **كالإبستمي والأركيولوجيا** ، هذه الأخيرة التي وظّفها من أجل أن يكتشف قيما ثقافية زائفة كبلّت المجنون وعطّلت طاقاته ومارست عليه الحجر،في حقبة من الحقب "العصر الكلاسيكي" ،و هذا الجهد المضني الذي يقوم به **فوكو** هو من أجل نصرة المضطهدين من المجانين وغيرهم، فالتّحرر حسبه لا يمكن أن يتأتّى إلا بالهجوم على العقلانيّة المتحجّرة التي تخفي من وراء مظاهرها البرّاقة،تقنيّات قمعية تسلّط على رقاب الضعفاء.

---

[2] محمد عابد الجابري،تكوين العقل العربي،(نقد العقل العربي1)،ط1،(مصر،مركز دراسات الوحدة العربية،1984)،ص14.

**لقد إستوحى الجابري لعمله مفاهيم فوكو وتوجيهاته من طبيعة موضوعه الخاص،الثقافة العربية.

[2] محمد عابد الجابري،تكوين العقل العربي،(نقد العقل العربي1)،ص37.

[4] محمد عابد الجابري،العقل السياسي العربي،ط1،(مصر،مركز دراسات الوحدة العربية ،1990)،ص42.

2/الرافضون لطرح فوكو:

لقد اختلف العديد من المفكرين والفلاسفة والمؤرخين، مع **فوكو** اختلافا يذهب إلى حدّ التّناقض الصّريح لذلك عارضوا وبكل روح موضوعية وبالنّصوص المدعّمة منهجيته واستنتاجاته الفلسفية وإستتباعاتها العلمية، فمنذ الوهلة الأولى شدّ انتباههم أسلوب **فوكو** الذي بدا لهم غريبا عن البحث الفلسفي والتاريخي. لقد شكّك العديد من متابعي أعمال **فوكو** في أمانته للبحث التاريخي ورأوا بأنه تعامل مع الوثائق تعاملا سطحيا حيث لم يشيّد فلسفته على أسس متينة،"بل على أساس هشّ للغاية وربما تكون رغبته في إشباع الحاجة الجمالية. لدى القارئ كلّفته تحريف وقائع التّاريخ والتّسلسل الزمني"[1].كما أن تعدد استفزازات **فوكو** جعلت البعض من المفكرين يرتابون من جدية أطروحاته الفلسفية وآخرون ذهبوا إلى حد اعتباره سفسطائيا حديثا يروّج للعدمية، ويعمد لاغراء قرائه بإغراقهم في سيل من الخطابة الجوفاء متفاديا التعمّق الجدّي ومضحيا بالدّقة العلمية. وإذا كان **فوكو** يفتخر بوصف صديقه **ج. دوميزيلG.domèzil** بأنّه كان يرتدي أقنعة ويبدّلها باستمرار،هذا الأمر فهمه نقّاده بأنّه يعتبر رذيلة إذا قيس بمقياس أخلاقي، لأنّ ارتداء الأقنعة يعني التمويه والمراوغة والكذب ويدلّ على قدرة كبيرة على الإغواء وجذب القرّاء كما هو مبيّن في أطروحته حول الجنون. ومن جهته أقرّ **هايدن وايت** بأن نثر **فوكو** هو نثر غير ملائم للتفكير العلمي، "لا بل إن وراءه خلفية إيديولوجية تتلخص في سدّ الباب

أمام نقد يوّجه لأعماله"[2] .حيث قصد عمدا حجب خطابه عن أيّ تناول نقدي يقوم على مبادئ إيديولوجية تختلف عن مبادئه كما أنّ استعماله للحيل الخطابية الكلامية حوّل اللغة إلى لغة شعرية لا تخدم الخطاب العلمي، فكلّ ما يتمتّع به كتاب تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي من رواج وسلطان مستمد بالدرجة الأولى من أسلوبه وليس من الأدلة المستمدة من الحقائق أو من صرامة منطقها، في خاتمة أركيولوجيا المعرفة يصرح **هايدن وايت** "بأن **فوكو** يقول أنّ هدفه هو تحرير تاريخ الفكر من خضوعه للتعالي تنقيته من كل النرجسية

[1]-روجي غارودي،البنيوية فلسفة موت الإنسان،تر:جورج طرابيشي،ط1،(بيروت، دار الطليعة ،1985)،ص39.

1 جون ستروك ، البنيوية ومابعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، ص94.

المتعالية وتحريره من دائرة الأصل المفقود "[1]. بالنسبة إلى **هايدن وايت** هذا الأسلوب بما يتضمّنه من مبالغة وأوهام يمثّل أسلوب **فوكو** خير تمثيل ويشير إلى صعوبة ترجمة خطابه .بالإضافة إلى هذا نقد **جاك دريدا** فوكو من خلال كتاب هذا الأخير تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي حيث صرّح أنّه ما من تاريخ ممكن إلا تاريخ العقل وأنّ الفيلسوف عندما لا يلجأ إلى أدوات صاحب خطاب العقل ليرجعها ضده" فهو لا يقوم إلا بما يدّعى في لغة وزارة الداخلية - لغة شغب بسيطة"[2].والإشارة هنا إلى أنّ **فوكو** كتب بطريقة غير موفقة بل ومتناقضة فهو تارة يقارب الجنون بأدوات ومفاهيم العقل وتارة بلغة شعرية متعالية،بعيد كل البعد عن الواقع والمنطق لقد تمزق الكتاب هنا أي تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي بين هذين المستويين من الكلام وهو ما يثبت حسب **دريدا** فشل مشروع **فوكو** الفلسفي. "إنّ مفهوم الجنون الذي يستخدمه **فوكو** قوبل باعتراضات شديدة ومن بينها انتقادات **دريدا** حيث لامه لعدم دقّة اللفظ ومنهجيته"[3].فهو نوع من التّعبيرات الشعبية أو الدارجة التي تتّسم بغموضها،فقد كان الأولى أن يستخدم المفهوم في إطاره المرضي الطبي،أفضل من المفهوم الذي تواضع عليه عامة الناس وأطلقوه عليه.

أما النقد الآخر الذي وجّهه **دريدا لفوكو** كان ردّا على نقد **فوكو** للكوجيتو الديكارتي في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي لقد صرّح **دريدا** تصريحا خطيرا حيث يتّهم **فوكو** مباشرة بإساءته لقراءة الكوجيتو الديكارتي حيث لم يفهم ما قصده **ديكارت،** وظنّ أنّه يريد إبعاد الجنون وتهميشه وإقصائه باسم العقل وتحت شعار العقلانية،لذلك شرع **دريدا** في مسائلة بعض المقتضيات الفلسفية والمنهجية لتاريخ الجنون حيث يتابع مقاصد **فوكو** ويعيد تقديم تأويل جديد للكوجيتو الديكارتي.

إنّ إحدى أخطر نتائج تاريخانية* **فوكو** تكمن في أنّها تسمح بالحديث عن القسمة بين العقل والجنون كما لو أن هذه القسمة وعلاقتها اللامتساوية كانت حسب **دريدا** خارجية بالنسبة إليه وليست متواطئة وبطريقة معينة، إنّ **فوكو** بسبب موقعه الفلسفي "يعتبر بأنّ لديه

[1] ميشيل فوكو،أركيولوجيا المعرفة،ص140

[2] من مقدمة كتاب جاك دريدا،الكتابة والاختلاف،تر: كاظم جهاد،ط2،(المغرب،دار توبقال للنشر،2000)،ص29.

[3]- Jacques Derrida. «cogito et l'histoire de le folie»in l'ecritures et la défference.paris.leseuil .1967.p65

قدرة أو سلطة من أجل كتابة تاريخ للجنون ذاته"[1].لكن كتابة هكذا تاريخ تبدأ بالضرورة من خلال مناجاة ذاتيّة للعقل الخاضع لطب الأمراض العقليّة والنفسيّة وأكثر من ذلك للعقل ذاته،حول الجنون وحول مشروع أركيولوجيا "لحفريات" الصمت الذي تم اختزال الجنون فيه،يطرح **دريدا** "مسألة ما إذا كان الصمت ذاته يملك تاريخا،وما إذا كانت أركيولوجيا **فوكو** ليست هي ذاتها التكرار البارع للفعل المرتكب ضد الجنون وذلك من لحظة انفضاح هذا الفعل"[2].

ومن وجهة نظر **دريدا** "لا يمكن كتابة تاريخ للعقل من خلال التموضع خارج العقل فبالنسبة له ليس هناك كلامٌ أو خطاب قد لا ينتمي إلى العقل بشكل عام"[3].وبالتالي ليس هناك إمكانية للدلالة خارج إطار العقل وكان **فوكو** لا يأخذ بالحسبان البعد المفارق المتعالي الذي يشرط عمله الخاص،فهو يتخيل أنّه يستطيع إطلاق نقد عقلاني للعقل ذاته،وهذا النّقد قد لا يكون بذاته داخلا في اقتصاد العقل الذي لا يملك خارجا.

يقول **دريدا**"إن العقل لا يمكن أن يكون عرضة للانقلاب أو أن يكون مردودا ولكنه في أفضل الأحوال يمكن أن يكون مهزوزا أو مضطربا من الداخل"[4] .

بعد هذا التحليل النّقدي لتصور مفهوم الجنونعند **فوكو** ينتقل **دريدا** إلى إظهار نقد فوكو لديكارت*،ومن ثم نقده لنقد **فوكو**، فحسب **فوكو** لم يهتم **ديكارت** بالجنون وقام بعملية اقصائه وقام بطرد مستعجل لإمكانية الجنون، خارج الفكر ذاته، و إنطلاقا من هذا قام **دريدا** بتحليل مقاطع التأمل الديكارتي حتى يمكنه إصدار حكمه في النهاية عند إعادة قراءة ديكارت.يذهب **دريدا** إلى أنّه "لا يجب معالجة الجنون في نص **ديكارت** معالجة خاصة،وذلك بفصله عن مجال الأخطاء المتصلة بالإحساس، الخيال، الأوهام

[1] توماس ليمكي،ماركس وفوكو،تر: حسن الحاج،ط1،(بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،2011)،ص134.
2 جاك دريدا،استرتيجية تفكيك الميتافيزيقيا،تر: عز الدين الخطابي،بدون طبعة ،(المغرب،افريقيا الشرق،2013)،ص24.
* التاريخانية : كلمة تدل على كل الرؤى التي تولي اهتماما خاصا و عناية بالتاريخ . و خاصة تلك الرؤية التي تؤمن بأن الأشياء يجب أن ينظر إليها على ضوء تطورها التاريخي .
[3] جاك دريدا،استرتيجية تفكيك الميتافيزيقيا، ص 26.
1 جاك دريدا،استرتيجية تفكيك الميتافيزيقيا ،ص28.
*للإطلاع يمكنك الرجوع للفصل الثاني،المبحث الثاني المجنون،المفهوم الفلسفي للجنون،ديكارت أنموذجا.

والأحلام"[1].ذلك أن العقل عند **ديكارت** يخضع كل أنواع المعارف أو الإدراكات الحسية لإمكانية الوهم ،الخطأ ،من ثمّ سيصبح كل يقين عقلي في حالة انفصام تام مع الحواس، وهذا الأمر يستدعي استبعاد كل معرفة أو دلالة حسية عن مجال الحقيقة،وانطلاقا من هذا وصل **دريدا** إلى حقيقة مفادها أنّه لا يصحّ **لفوكو**"أن يعالج موضوع الجنون كعنصر منفصل عن الأوهام الحسية"[2].وإرجاعه إلى خلل في الذات المفكرة واعتباره من ثمّ شرط استحالة بالنسبة لعملية التفكير ذاته. يضيف **دريدا** أن كل الفرضيات التي قدمها **فوكو**** للدلالة على محاربة ديكارت للعقل ليست موفقة وكما أنها لا تعبر مطلقا عن روح الفكر الديكارتي **فديكارت** حسب قراءة **فوكو** لم يفكر في الجنون إلاّ بوصفه حالة من الحالات الأخرى وليس أخطر ما في الموضوع أنه خطأ الحواس والجسم معا،وباختصار

فالشكّ دليل على عملية التفكير ومادام الإنسان يفكر ويمتلك أفكار واضحة،فلماذا يفكر في غير هذه الحالة وهي الحالة المثالية للإنسان الذي يمتلك عقلا. ومن جهة أخرى لقد اتّهم **فوكو** بلهجته البنيوية وإلماعاته الرؤيوية، وتفاقم الأمر لدرجة أن **ألان ميجيل** صرّح بأنّ **فوكو**"كان حيوانا*من النوع الذي لم يشهده المؤرخون من قبل"[3]. لم يستقبل **سارتر** كتب **فوكو** بإعجاب كبير بل واعترض اعتراضا شديدا على بعض النقاط في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ،حيث انتقد شخصية المجنون نتيجة الانقلابات الفجائية،حيث تستمر التغيّرات في نظرة المجتمع للمجنون بحيث أنّ لكل حقبة تقريبا نظرة خاصة تجعلها في قطيعة تامة مع سابقتها ،"ففي العصور الوسطى وعصر النهضة كان

---

[1] المرجع نفسه ،ص42.

[3] المرجع نفسه،ص44.

إن فوكو يرى أن ديكارت يضيف الجنون إلى جانب أخطاء الحواس ومن ثم اختزاله إلى الخطأ نفسه،وإن كان يفرق بينهما من حيث المعالجة وهنا يميز بين خطوتين أساسيتين،تلك التي يبين فيها فوكو أن الحواس لا تخدعنا إلا في الأشياء البعيدة جدا،والأقل حسية،وتلك التي يبين فيها أيضا أن الخيال والحلم لا يمكنهما خلق العناصر المكونة لهما مثل الطبيعة المادية وامتدادها والكم والعدد، إن فوكو يصرح بأن ديكارت لم يتوقف عند نقطة المزج بين الخطأ والجنون،بل أخرج الجنون من دائرة العقل ولم يعره اهتماما وهنا ظهرت قراءة دريدا التي تبث ضعف الأدلة التي قدمها فوكو فمثلا عند قول ديكارت "أنهم مجانين ولن أكون أقل شططا منهم إذا اعتمدت على مثالهم"بالإضافة إلى المقطع الذي يطالبنا فيه ديكارت بضرورة الحد من الحواس لأنها تخدعنا أحيانا هذه الفرضيات التي دعم بها فوكو أطروحته حول الجنون لم تقنع دريدا ورأى أنها لا تدل على اقصاء ديكارت للعقل بل لا تعبر مطلقا عن جوهر وروح منهج ديكارت فهي أمثلة غير معبرة وغير فعالة،للمزيد ينظر جاك دريدا- استراتيجية التفكيك والميتافيزيقيا،ص.26.،عمر مهيبل،البنيوية في افكر الفلسفي المعاصر،ص ص258،261،وينظر أيضا محمد علي الكردي،نظرية المعرفة والسلطة،ص11.

1 ميشيل فوكو،فوكو صحافيا:أقوال وكتابات،تر: البكاي ولد عبد المالك،ط1،(بيروت ، لبنان ، جداول للنشر والتوزيع ،2011)،ص60.

*لقد صرح فوكو بأن البعض ينظرون إليه على أنه إنسان خطير لأنه لا عقلاني،عدمي لكنه يفتخر بإعتباره أنه يمثل خطرا على الصحة الذهنية لبعض القراء وحتى الطلبة .

وجه المجنون مألوفا ويحق له العيش في المجتمع أمّا في العصر الكلاسيكي فقد اغترب كليا وأصبح منعزلا"[1] .

هذه التغيّرات وصفها **سارتر** بالفانوس السحري الذي عوض به **فوكو** السينما**، ووحدات من اللقطات التي تمر أمامنا باستمرار دون رابط منطقي يسمى،كل شيء حدث فجأة بقفزات من غير سابق إنذار.لقد أساء **فوكو** حسب **سارتر** لكل الأطباء الذين حاولوا جاهدين معالجة المجانين التعامل معهم بروح إنسانية واعتبر أنّ كل إنجازاتهم ليست سوى لنيل الشهرة ونيل شرف الحصول على لقب محرر المجانين، حيث ادّعوا تخليص المجنون من الخلط بينه وبين المجرمين وفصل براءة اللاّعقل عن ذنب المجرمين ،فلقد اتهم **سارتر، فوكو** بإقامة حاجز ضد الماركسية وبأنّه خادم البرجوازية ،كما اتهمه باللاتاريخانية أي إلغاء التاريخ واحتقاره كما عتب عليه بسبب إلغائه لدور الذات الفاعلة وإعلانه موت الإنسان . لقد تناول **هاربرماس** * فكر **فوكو** بالنقد أيضا بسبب النقد القاسي

والرهيب الذي وجّهه **ميشيل فوكو** للحداثة حيث انخرط في عملية نقدية جذرية وأركيولوجية لعقلانية الغرب وحداثته، وبينّ أنّها أقّل براءة مما تدّعيه،فوراء أقنعة الديمقراطية وحقوق الإنسان كانت تخبئ المصالح والأغراض حيث استطاعت الحداثة حسب **فوكو** بأنّ تقوم بأكبر عملية تدجين شهدها المجتمع الغربي.

حسب **فوكو** إنّ كل أشكال القمع الممارسة على المجانين والمساجين تهدف بشكل أو بآخر إلى إخضاعهم لسلطة القوى البرجوازية الملكية ،وفي هذا السياق بالذات راحت العلوم الإنسانية تتدخل وتلعب دورها تحت غطاء المشروعية العلمية،فبعد انحسار مشروعية الدين أصبح هو الذي يتكفل بتقديم المشروعية،ففي السابق كان الكاهن يعطي أمر سجن فلان

[1] Jean paul sarterRepond،article in L'arc . n°30 ،1966.

**« Il foucault distingue des époques.un avant et un après.mais il remplace le cinéma par la lanterme magique.le mouvement par une succession de mobilité ».

بالمصح العقلي بتهمة أنه مجنون وأما الآن" فالطبيب النفسي هو صاحب السلطة وهو الذي يصدر الأمر فالمضمون تغير لكن الآلية واحدة".[1]

وبهذا أصبحت كل العلوم،علم الاجتماع،السياسة،القانون،النفس،تستخدم هذا التأطير الجديد لمجتمعات الغرب،وبالتالي فإن إدارة الحقيقة تختلط في العلوم الإنسانية بإرادة السلطة،وعلى الرغم من اعتراف **هابرماس*** بإعجابه بفلسفة **فوكو** إلا أنه انتقد فلسفته خوفا من طابعها التعميمي الذي قد يؤدي إلى قتل مفهوم الحقيقة والسقوط في العدمية حيث قال"كان من المفروض على **فوكو** أن لا يقلّل من شأن العلوم الإنسانية ويشكك في مصداقيتها فهي ليست أداة للهيمنة والسيطرة "فقد ظهرت فيها تيارات مصلحة وذات رؤى نقدية وأهدافها حقيقية ولا تسعى إلى فرض سلطتها على الأفراد"[2] .

يضيف **هابرماس** حقيقة مفادها أن المشكلة عنده ليست في "نقد فوكو للحداثة" فمشروع نقدها كان موجودا قبلا عند ماركس حينما حاول الكشف عن نقائص الحداثة،ومطالبتها بتنفيذ مبادئها ومثلها العليا التي توعدت بها ، لكن **فوكو** لا يهدف في نظرة إلى مواصلة هذا

النقد البناء الإيجابي ولكنه يريد الخروج من الحداثة كليا،كما أنه يقوم بنقد الحداثة والكشف عن آلياتها في ممارسة الإقصاء ويحاول فضح المؤسسات لكنه يكتفي فقط بالمرحلة السلبية للنقد ولا يقدم البديل مطلقا مدعيا ميلاد عالم ما بعد الحداثة،ولكن ما علينا حسبه سوى الانتظار وانطلاقا من هذا اتهم **فوكو** بتدميره للعقل وتفضيله للجنون على العقل[3]،وما يؤاخذ عليه **"هابرماس" فوكو** أيضا كونه أغفل حقيقة مهمة مفادها أن فكر عصر التنوير الذي بلغ أوجّه مع **"كانط"**وتجسد في عصر الحداثة،قد أدّى إلى نصرة الأقلية والمهمشين وحتى الناس الأسوياء،وذلك نقل الشرعية الدستورية للدولة من أيدي الملوك إلى أيدي الشعب البسيط.

---

[1] هاشم صالح ،"فوكو كما يراه النقد الفلسفي الفرنسي" ، مجلة مواقف ، العدد 14،1984، ص54.

[2] يورغن هابرماس،القول الفلسفي للحداثة،تر: فاطمة الجيوشي ،بدون طبعة ،(دراسات فلسفية وفكرية ،وزارة الثقافة،1995)ص277

* يورغن هابرماس : احد ابرز ممثلي الحداثة الفلسفية وهو صاحب المقولة الشهيرة "الحداثة مشروع لم ينجز "وهو احد دعاة التواصل ،ويهدف التواصل حسبه الى توطيد العلاقات بين الافراد بالحوار يهدف هابرماس الى فضح مختلف الايديولوجيات والتفاوت الطبقي عبر وساطة العقل النقدي ،ولكن ليس بمعنى النقد الذي استند اليه دعاة ما بعد الحداثة ،وانما بالاستناد الى مرجعيات حداثية ،يمثل كانط وهيجل اساس تلك المرجعية ، للمزيد ينظر كتاب يورغن هابرماس،القول الفلسفي للحداثة ص103.

[3] يورغن هابرماس،القول الفلسفي للحداثة،ص396.

إنّ هذا التغير والتجديد يعتبره **هابرماس** ثورة حقيقية[1] وانقلابا في مسار الإنسانية ومن المؤسف حسبه أن يتجاهله **فوكو** ويتهمه بالقصور والقمع والاستعباد،كما يهمل **فوكو** حقيقة أخرى لا تقل خطورة عن الأولى هي تشكل دولة القانون في المجتمعات الغربية الحديثة،بهذا الانتقال بين النظام الكلاسيكي إلى نظام الحداثة،دولة القانون بكل مؤسساتها تمثل إحدى مكتسبات الحداثة،من حيث هي توفير للحرية والأمن.

وبالرغم من اعتبار**جان بياجيه** أنّ **فوكو** يضاف ضمن لائحة الفلاسفة الذين يثيرون مشاكل جديدة،بزعزعتهم أوضاع الرخاء فهو يعتبر نفسه كانطيا جديدا* يحملنا في استقامة ثانية من ركود دوغمائي إلا أنّه يوجّه له العديد من الانتقادات، فما يعترض عليه بياجيه هو تصريح **فوكو** بأن العلوم الإنسانية لا تشكل عنده علوما مطلقا، كما عتب عليه في عدم إتباعه الدقة والصرامة في منهجه وكما نعت بنيويته "بالبنيوية الخالية من البنيات"هذه البنيوية مليئة حسبه بجميع المظاهر السلبية،عدم تقييم للتاريخ والتكوين،نفي الموضوع نفسه لأن الإنسان سائر للزوال وهنا لم يرى **بياجيه** لحقد **فوكو** على الإنسان بشكل خاص مبررا،بالإضافة وأنه يعيبه على تركيزه على اللغة على حساب الإنسان يقول **بياجيه** النقطة الثابتة الوحيدة في هذه اللاعقلانية عند **فوكو** هي الرجوع إلى اللغة المصممة على أنها" تسيطر على الإنسان لأنها خارجة عن الأفراد،ولكن حتى كائن اللغة يبقى طوعيا يشكل بالنسبة إليه نوعا من الغموض الذي يحلو له فقط أن يشير إلى إصراره المعمي"[2]. كما يعيب **بياجيه** على **فوكو** اعتباره للإبستمي خلقا من لاشيء لا يعرف أحد سرّه ينبثق فجأة من العدم ثم يختفي فجأة أيضا،كما يظهر دون تفسير أو تسويغ،إنّ إبستمية **فوكو** تظهر كبنية كبرى تعبر الزمن بنوع من التقطع غير المفهوم ودون أن يسمح بأي فهم تطوري،إنّه إذن يقتل التاريخ ويلغيه،ذلك أنّ تتابع هذه الأنواع الثلاثة من الإبستمي(ابستمي القرن السادس عشر،ابستمي العصر الكلاسيكي، ابستمي العصر الحديث)يبدو أمر صعبا غير قابل للتفسير والفهم بسبب أنه لا يوجد علاقة تطورية استنباطية فيما بينها إنها غريبة عن بعضها البعض كل الغرابة ليس هناك أي تشابه أو ترابط بينها،بمعنى آخر يقول

[2] هاشم صالح،"فوكو كما يراه النقد الفلسفي الفرنسي"،ص56.

*لقد تمت المقارنة بين الهزة التي أحدثها كانط في كتابه المشهور،نقد العقل الخالص،فيما يخص عصره،بالهزة التي أحدثها فوكو فيما يخص العلوم الإنسانية.

[2] جان بياجيه،البنيوية،تر: عارف منيمنة وبشير أبري،ط2،(بيروت،باريس،منشورات عويدات،1980)،ص154.

بياجيه "إن آخر كلمة لأركيولوجيا العقل هو أن العقل يتغير ويتحول من دون سبب،وأن بناه تظهر وتختفي"[1]. لهذا السبب يرى **بياجيه** في فلسفة **فوكو** نوعا من احتقار التاريخ والتطور،واحتقار للوظائف الترابطية ونفي قاطع للذات لم يسبق له مثيل ذلك أن الإنسان نفسه سوف يختفي ويموت إن فكر **فوكو** يمثل إذن في نظره نوعا من اللاعقلانية الكاسحة.

إنّ تجاهل **فوكو** للدور الذي تقوم به الذات في المعرفة والتاريخ،قوبل بانتقاد شديد من طرف **غارودي**،حيث يشرح لنا **فوكو** كيف أنّ الإنسان في التصور الكلاسيكي للمعرفة لم يكن له وجود خاص،ولم تكن له ذات عارفة حيث نظر الإنسان باعتباره غريبا عن مدار الوجود العقلي.فّإن المشكلة حسب **غارودي** قائمة في الاستبعاد القطعي للإنسان الذي يوصله لنتيجة مفادها أنّ الإنسان كان يمثّل وجها اتّصفت معالم صورته بين وجهين،في إحداهما يظهر على أنّه" اختراع حديث الوجود والأخرى تظهره على أنّه يتلاشى من الوجود"[2]. استغرب **"ميكال ديفران"*** من جهته طريقة استبعاد الإنسان وتحقيره باسم النزعة اللاإنسانية وعلى رأسها **فوكو**، الذي لا يعترف أصلا بوجود الإنسان حيث لم يجد

المبرّر الفلسفي ولا حتى الإنساني الذي يخوّل له أنّ يدين الإنسان ويحكم عليه بالموت،إنّ ما أثار حفيظة هذا الفيلسوف كونه يقدر معنى الخلق،ويؤمن حقا بوجود الإنسان وبقدرته على إحداث التغيير وهذا ما جعله يثور على هذه الفلسفة ويعلن موتها هي الأخرى كونها خرجت عن أعراضها المطلوبة وأهدافها المرجوة،لقد صرح بأن فكر **فوكو** هو فكر غامض وإشكالي في آن واحد،إنه يعلن كل شيء عبثا وباطلا و سيذهب مع مرور الزمان،ثم يضيف"هل يمكن للمرء أن يكون بنيويا، و نيتشويا في الوقت ذاته،هل يمكن التأكيد على النظام والفوضى"[3]؟

إنّ ما يجدر بنا ذكره هو أنّ معظم النقد الذي وجه **لفوكو** كان من طرف المؤرخين، وكذلك اختصاصي الأمراض العقلانية والدليل على ذلك ما ذكره **بيتر ساد جفيك** في كتابه السيكولوجيا السياسية،بأنّ **فوكو** يقوض كل أطروحات التاريخ حيث يقوم بتبديلها وهو بهذا

[1] المرجع نفسه ،ص109.
[3] روجي غارودي،نظرات حول الإنسان،تر: يحيى هويدي،بدون طبعة،(القاهرة،المجلس الأعلى للثقافة،1986)،ص318.
*ميكال ديفران،كاتب وفيلسوف فرنسي ذو نزعة إنسانية.
[3] Michel dufrenne.Pour L'homme. (Paris , le Seuil ,1968).p.85

يدمر روح البحث العلمي،لقد أثبت هذا الناقد بأن أوروبا احتوت على مستشفيات متخصصة بعلاج المرضى المجانين ورعايتهم قبل ظهور وتأسيس المصحات وحتى وإن كان العلاج آنذاك بدائيا لقلة الإمكانيات ونقص التقدم العلمي،ومن ثم فالعصر الحديث لم يبدع آليات التعذيب والتنكيل التي يتحدث عنها **فوكو**،بل كانت موجودة قبل ذلك في العصر الوسيط،بالإضافة إلى أن الثقافة الغربية" ليست أكثر قوة من الثقافات الأخرى التي لا تكتفي فقط بالتعذيب بل تضع حد لحياة المرضى من فرط التعذيب"[1].

لم يكن هذا الاعتراض الوحيد الذي تلقاه **فوكو**،فقد وجهت إليه العديد من الانتقادات الدقيقة من قبل المؤرخين المحترفين بخصوص الجانب التاريخي،ومدى صحة الأحداث التي أورده في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي الذي كان" يهدف في الأصل إلى تحليل ظاهرة الجنون كونها معطى ثقافي حضاري،وليست ظاهرة طبيعية"[2]،ومن هذه النقاط نذكر ما يلي:

1/ إنّ تصريح **فوكو** في كتابه أنّ المجنون في العصر الكلاسيكي تعرّض للقمع،وكافة أشكال التعذيب مقارنة بوضعه في العصر الوسيط وعصر النهضة حيث كان يعامل فيه معاملة إنسانية ويعيش بصفة طبيعية غير صحيح،وتزييف للواقع في نظر المؤرخين،فالرؤية القائلة بأنّ المجانين كانوا مدمجين ومقبولين بشكل حسن في مرحلتي العصور الوسطى وعصر النهضة لا تعكس الواقع،إذ توجد حالات كثيرة من التهميش والتضييق إتجاه المجانين في القرون الوسطى،فقد أوضح أيضا كل من **بيار موريل MOREL**"و**كلود كيتالQUETEL** في كتابهما أطباء الجنون" Les Médecins de la folie"أن الإنسان يبحث دائما عن علاج الاختلال العقلي"[3]، حيث كانت توجد منذ العصور القديمة وسائل علاجية اتخذت هذه الإرادة العلاجية في القرون الوسطى شكلا سحريا دينيا كالرقية،والجراحة التي يسال فيها الدم.

[1] J.C.Merquior.foucault.fontana press/colllins london-Glasgow, 1985.p.21.

[2]. محمد المزوغي،في نقد مابعد الحداثة2 فوكو والجنون الغربي، ،ص138

[3] P.Morel et G.quetel.Les Médecins de la folie. (Paris ,hachette.1985).P.195.

*نستعمل كلمة النظام القديم،ancien régime،كدلالة على فترة ماقبل الثورة الفرنسية سنة1989.

2/ إنّ اعتبار **فوكو** لطريقة العلاج التي ابتدعها كل من **بنييل وتوك** لمعالجة الأمراض العقلية،طريقة قاسية متسلطة لأنها أخضعت المجنون لمعيار أخلاقي اضطهادي،يعتبر في نظرهم نوعا من المبالغة والتزوير.

وفي المنحنى النقدي نفسه يقوم المؤرخ **اريك ميدلفورتERIK MEDELFORT** بجمع الكثير من المعطيات التاريخية التي تنتقد أطروحة فوكو حول الجنون وتنتقص كثيرا من مفاهيمه التي بنى عليها فلسفته في التاريخ،ومن بين هذه الانتقادات:

1- لقد كان هناك فعلا سجن كبير لكن في القرن التاسع عشر وليس في القرن السابع عشر كما توضح الإحصائيات ذلك حيث ارتفعت نسبة المجانين المحبوسين في عهد لويس الرابع عشر وهي الفترة التي ينسب إليها **فوكو** الحبس الكبير للمجانين في المستشفى العام في باريس. فقد شهد القرن التاسع عشر إنشاء العديد من مستشفيات المختلين عقليا وبناءها وملأها وليس النظام القديم، لقد قدم **فوكو** بنحو قرنين من الزمن تقريبا الفترة الحقيقية للحبس*[1].

2- لم يكن المعتقل الكبير موجها ضد المجرمين والمجانين،لكن ضد الفقر الذي يؤدي بدوره إلى التسيب والانحلال وإخلال النظام العام،بالإضافة إلى أنه قد يكون عاملا مدمرا يؤدي إلى الجنون مباشرة.

3- التحقيب التاريخي الذي قدّمه **فوكو** خاطئ،ففي نهاية القرن الثامن عشر فرض الإقامة وعزل الفقراء وحبس المجانين اعتبرت في ذلك الوقت إخفاقا كبيراكما تبيّن كذلك المعطيات الإحصائية في إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

لقد رأى المؤرخ المختص **إيريك ميد لفورت** أن عمل **فوكو** يحطّم مجهودات الباحثين الجديين حيث صرّح أن البحث معهم يخرج عن أغراضه الخاصة،وهذا ما رفضه رفضا مطلقا ولهذا السبب لا يتوانى هذا المؤرخ في العديد من المناسبات من العودة لكتاب تاريخ

1 جون فرونسوا دورتي،فلسفات عصرنا،تر: ابراهيم صحراوي،ط1،(الجزائر،منشورات الإختلاف،،2009)،ص149.

* يؤكد أنه إذا كان على فوكو أن يؤطر بأي ثمن الحبس في العصر الكلاسيكي فإنما فعل ذلك كتأكيد أطروحته المركزية للكتاب "التصرف الجديد اتجاه الجنون"هو نتيجة لإطار ذهني جديد هو إطار فلاسفة الأنوار الذين أرادوا رسم خط بين العقل والجنون معتبرينه لاعقلانية وعدم صواب ونتيجة لذلك لا يمكن اعتبار الانتقادات الموجهة لكتابه توضيحات بسيطة من مؤرخين فاتهم البعد النظري.

الجنون في العصر الكلاسيكي والتركيز على الجوانب الخاطئة فيه،فقد اكتشف من خلال إلقاء نظرة على تاريخ الجنون أن هناك الكثير من الاستدلالات التي تسبح في وجه البداهة التاريخية،وأن العديد من تعميماته الواسعة هي تبسيطات مفرطة فعلا،ببحثه عن ماهية عصرنا،عن إبستيمية **فوكو** حسبه يبدو" مدفوعا بنزوة لتقريرات اعتباطية وذكية غالبا ما يتساءل المرء لماذا هذا القدر من الثناء والاهتمام لازال يلاقي طريقه"[1]،وهو الأمر نفسه الذي ذهب إليه المؤرخ **كلود كيتال** حيث اتّهم **فوكو** بقيامه باختزال كل النظريات الرائعة لتبيان المرض النفسي والتي تمثل في جهود العديد من الأطباء وجل ما كان يهمه هو التأكيد على الطابع الوهمي للطرق العلاجية.وأيضا اعترض **كلود كيتال** بشدة على أسلوب **فوكو** الغليظ والقاسي في رفضه ونبذه للغرب وعقلانيته،كما أن العديد من الحالات التي يستشهد بها **فوكو** في أطروحته حول الجنون غالبا ما جرى تفسيرها طوعا فليس بإمكان المؤرخ كتابة التاريخ إلا باحترام الوثائق والسجلات بمجملها،ومابين تزييف **فوكو** للوقائع التاريخية حين يستفيض بالحديث عن الطبيعة الحيوانية للجنون وما يرافقها من أقفاص وقيود كانت تكبل بها أيدي وأرجل المجانين كالحيوانات،وهذا كله باطل وكذب في نظره والدليل على ذلك في قوله"إن **فوكو** يشتكي من مشكلة متأصلة بفكره إنه يزيف الأحداث،ولقد تحققنا من ذلك"[2]،لقد اعترض هذا المؤرخ "على اختيار الأرشيف المستعمل من قبل **فوكو**"[3]،واتهمه بإخضاع وتطويع المعطيات التاريخية لأطروحاته واعتماد على الإحصائيات اثبت أن الحجز الكبير الذي يتحدث عنه **فوكو** ظهر في القرن التاسع عشر أكثر منه في القرن السابع عشر.

إنّ الانتقادات الموجهة لآثار **فوكو** كثيرة ومتنوعة تكشف هذه الأخيرة عن أخطاء عديدة كما تتحدث عن عجز نظري خطير قد يعيد النظر في كل البناء الفكري،فقد واجه الفلاسفة مشكلة مع تحليل السلطة الذي يقترحه **فوكو** وأقر أنها سلطة غير قابلة للفهم،فهي غامضة وغير دقيقة، فهي تدل أحيانا على جهاز طبيعي من الإكراهات السجن، المستشفى وأحيانا على إطار من الفكر التطبيعي التخصصات العلمية التي من أهدافها تحديد معايير

[1] محمد المزوغي،في نقد مابعد الحداثة2 فوكو والجنون الغربي،ص140.
1 كلود كبتيل،تاريخ الجنون من العصور القديمة إلى يومنا هذا،تر: سارة رجائي يوسف،كريستينا عمر فكري، ط1،(القاهرة، مصر ،مؤسسة هنداوي،2010)، ص91.
[3] المرجع نفسه،ص106.

الحقيقة،وأحيانا أخرى على ميكانيزم أخلاقي للرقابة الذاتية،يبدو الفيلسوف وكأنه يختزل كل المؤسسات الجدية إلى أجهزة كلية قادرة على مراقبة الأفراد وتطبيعهم فالمدرسة والمؤسسة والسجن تبدو فقط مؤسسات سجنية،لقد أورد **دورتي** في كتابه أن كلا من الفيلسوفان **"لوك فيري luc- ferry"** و**"آلان رونوAlain renant** . قد هاجما بلا تساهل نظرية **فوكو** التي تحيل السلطة إلى مجرد علاقة قوة،وتنفي حقيقة القانون غيبيا وترفض من ثمة وجود دولة القانون". [1]

من جهة أخرى يظهر اعتراض المؤرخ **روي بورتر.**لنقطة حساسة في أطروحة **فوكو** حول الجنون" المتعلقة بإنشاء الحجز أو السجن الكبير في العصر الكلاسيكي"[2] حيث تظهر مقاربة **فوكو** للجنون مفرطة في التبسيط،ومغرقة في التعميم،حيث اقترف خطأ عندما قام بتعميم مؤسسة الحجز على كامل أوروبا،ففي روسيا مثلا،قلما ظهرت فيها أماكن لإيواء المجانين أما بالنسبة لانجلترا فلم تكن موجودة مطلقا والعزل لم يأت فيها إلا متأخرا.

لقد اعتبر **فوكو** مؤسسة الحجز أنموذجا يمثل القهر والاستعباد ومكانا مخصصا للنبذ و الإقصاء،تمارس فيه السلطة كل جبروتها ونفوذها على المجنون باعتباره نكرة،وهي سياسة القوى ضد الضعيف،هذه السلطة تستمد قوتها حسبه من القانون ومن الطب النفسي*وحتى من الفلسفة باعتبار أن هناك فئة من الفلاسفة أرادوا الفصل بين العقل والجنون،ووضع حد بين خطاب العاقل والمجنون وهو ما اعترض عليه.**مارسيل غوشيهGouchet** و**غلادين سواين Swain** حيث نظرا لهذه المسألة من منظور إيجابي مغاير حيث صرح" أنّ في إقامة المستشفى مشروع إدماج وتحقيقا للديمقراطية وإرساء للعدالة"[3] ،باعتبار أنّ المرضى النفسيين مستقلين كليا في عالمهم الخاص بعيدا عن كل

[1] جون فرونسوا دورتي،فلسفات عصرنا،ص155.

[4] روي بورتر،موجز تاريخ الجنون،تر: ناصر مصطفى أبو الهيجاء،ط1،(هيئة أبو ظبي للثقافة ،2012)،ص115.

[3] M. Gouchet et G.SWAINE.la Pratique de L'esprit humain.l'instution asilaire et la révolution de- moucratique callinnard.1980.p245.

* لقد كانت ردة فعل المحللين النفسيين قوية،حيث لم يتردد الطبيب النفسي henriey الذي ينتمي إلى الموروث البينيلي أثناء ندوة أقيمت بتولوز Toulouse في ديسمبر 1969 في الحديث عن تصور إيديولوجي مؤد إلى طب عقلي كما أن الطب النفسي بدا مرفوضا ومحل نزاع حتى داخل صفوفه الخاصة من حركة الطب النفسي المضاد حيث رفضت مثلما رفض المرض النفسي وهذا لجعل فوكو يتقرب منهم ويشجعهم.

الفئات الأخرى وحسبه قيام الدولة بتأسيس المستشفى تعبير عميق عن نواياها العظيمة في الاهتمام بهذه الشريحة من المجتمع، من خلال رعايتهم والاعتناء بهم،وتوفير الدواء ومحاولة تطوير تقنيات العلاج من أجل تأهيلهم و مداواتهم كليا لينخرطوا من جديد بصفة طبيعية في المجتمع. إنّ مسألة تصنيف الجنون ضمن المرض العقلي لا تدل مطلقا على نوع من الاستعباد،فلو ترك المجنون بالخارج بدون تكفّل سيبقى مريضا بدون أمل في الشفاء لكن إذا أدخل إلى المستشفى لتلقي العلاج فهناك أمل في شفائه،وبالرغم من إنشاء مؤسسة الحجز فشل بعض المحاولات في العلاج،يبقى هذا الأمر دليلا على الرغبة في المساهمة من قبل الأطباء من أجل تحرير المجانين من أشكال الوحدة والكبت والحزن ومن ناحية أخرى **فوكو** رفض كل الممارسات السلطوية بحق المنحرفين ، الشواذ

والمجرمين ويعتبرها إهانة للكرامة الإنسانية وإقصاء وتعسف الحقوق المدنية،كما يخص في رفضه إجراء إدخال المجانين للمستشفى ويتصوره إكراها وقمعا . لقد خيّل للبعض أن خطاب **فوكو** ذاتي بعيد عن الموضوعية،كونه يدافع عن هؤلاء المجانين بإستماتة متناسيا حقيقة مفادها أنّ هذا المنحرف والشاذ ،قد يشكلان خطر على المجتمع إذ نـظر إليها بمقياس الأخلاق فقد تمردا على القيم وعلى المعايير الأخلاقية كما تسيّرهما الرغبة الجنسية وهوس الاعتداء فالأقل ضررا ،وضعهم في المصحة لكي لا ينقلوا عدوى الفساد والرذيلة لأفراد المجتمع وبالنسبة للمجرم فهو شخص عدواني شرير قد يعتدي بالقتل وإزهاق الأرواح من أجل الحصول على الأموال والممتلكات.كما أنّ هذا المجنون الذي يراه ضعيفا منكسرا،قد يتحوّل في لحظة إلى وحش مفترس عند حدوث ارتكاسات له حيث تصبح حياته محفوفة بالخطر فقد يحاول الانتحار،كما سيهدد أمن وسلامة المجتمع،فقد يصبح عنيفا وقد يؤدي إلى حدوث اضطراب كبير في النظام العام.

تجدر الإشارة إلى نقطة أساسية لفتت إليها العديد من الأنظار في كتاب **فوكو** الموسوم تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي،هي المركزية الأوروبية فنظرة **فوكو** للأمور وأسس تحليلاته كلها تبدأ من خطاب الغرب وتنتهي إليه،فقد أصبحت أوروبا عنده هي المركز الذي يكون الانطلاق الفلسفي منه ثم يكون الرجوع إليه،وكأن المجنون يخص الغرب فقط،وكأنه لم يعد لبقية الأعراق عند **فوكو** قيمة ولا كيانا ،فبدا الغرب وحده في الساحة بارزا،والدليل

على ذلك أن **فوكو** لم يؤلف وحتى كتابا واحدا يعالج فيه إشكاليات تهم الإنسانية جمعاء،وتتجاوز نطاق حدودها الزمنية والجغرافية.

خـاتمـــة

خاتمــة

إننا لا نريد أن نكرس هذه الخاتمة لإعادة عرض الأفكار التي نادى بها فوكو، بقدر ما نريد أن نستشف الخلفيات المنهجية التي تحمل هذه الأفكار و التي توجهها نحو بعض الحقائق الأساسية ، لقد سعى فوكو من خلال فلسفته لمعالجة مشاكل المجتمع و صراعاته المختلفة حيث بلور مفهوما خاصا بجهاد الفيلسوف المعاصر و كفاحه في سبيل نصرة قضايا مجتمعه و هو مفهوم "المثقف المختص" ، و ذلك حرصا على نجاح القضية التي يعمل عليها و لنصرة أصحابها في الحصول على حقوقهم المسلوبة و خصوصا فيما يتعلق بالفئات المهمشة و المقصية داخل المجتمع كالمجانين الذين حرموا الحق في الحياة الطبيعية من قبل سلطة طبية و قانونية تضع المطامع و المصالح الشخصية في المقام الأول .
و إنطلاقا من هذا يلتمس القارئ في كتاباته تذكيرا دائما من قبله لأن الواجب الحقيقي للباحث ألا ينظر لظاهرة الجنون من بعيد نظرة سطحية فارغة ، و إنما لابد من الاهتداء للباطن إلى لغة الجنون ، حتى يتمكن من فهم تلك الآليات الدفاعية التي يستخدمها الإنسان العاقل من اجل التعرف على الجنون و إحكام القبض عليه و حبسه و نفيه و إقناع نفسه بسلامة عقله هو .

يهدف فوكو من خلال تحليله لفكرة الجنون أن يعيد الاعتبار لهؤلاء المجانين الذين أجهزت عليهم السلطة بكل قوة ، و سلطة عليهم أقصى أنواع التعذيب و التنكيل وأخضعتهم قهرا للقيام بأعمال شاقة ، و لا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل يتفاقم لدرجة كبيرة ، فبعد أن يعزل المجنون ترفع عنه جميع المسؤوليات و كل الحقوق و يرفع بهذا حقه في المواطنة ، و هكذا تنتصر السلطة على الضمير المهني و الطبي ، و يصبح الجنون مقولة أخلاقية ، فكل من يخالف قوانين و قيم و عادات المجتمع البرجوازي يزج مباشرة في السجن مثله مثل المجرم الذي ارتكب جريمة استحق عليها العقاب .

لقد وجه فوكو نقده لكل المؤسسات التي أرادت تهميش الجنون خاصة مؤسسة الطب العقلي التي لم تفهم حسبه حقيقة الجنون رغم مظاهر التقدم المزعومة ، حيث أكد على أن الإنسان المعاصر بجعله من الجنون مرضا ذهنيا قد كف عن تحقيق التواصل معه .

و انطلاقا من هذا يمكننا استنتاج بعض الأفكار التي ندرج فيها مساهمة فوكو العظيمة في تاريخ الفكر، مع ذكر بعض النقائص التي وقع فيها ، و سجلت كملاحظات نقدية لفكره:

1/ لقد قدم لنا فوكو في دراسته لظاهرة الجنون نتائج غيرمفكر فيها فالجنون ليس مقولة عقلية بقدر ما هو مقولة إجتماعية نسبية .أو بعبارة أخرى ظاهرة ثقافية تتغير حسب متغيرات العصر.

2/ لم يكن هدف فوكو في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي كتابة لتاريخ الطب النفسي ، لكنه وصف لتاريخ الجنون و الدليل على ذلك أن فوكو لم يحاول أن يتوقف عند المعارف المختلفة التي تشكلت حول المرض العقلي بل على مختلف مظاهر السلطة و العنف الممارس على المجانين . فدراسة فوكو ليست دراسة طبيب عقلي ، لأن الطب العقلي ليس إلى أحد الآن سوى خطاب حول الجنون ، إنها مناجاة للذات . و دراسة مؤرخ يكتب تاريخ الجنون ذاته، و في صدقه و قبل الإمساك به من طرف العدالة .

3/ إن الأصالة التي انطوى عليها كتابه الموسوم بتاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي قد انحصرت في منهجه الأركيولوجي الذي لم يجعله يقتصر على دراسة و استعراض حديث جاهز و معد من قبل ، بل وظفه لكشف بعض المؤسسات الطبية التي ادعت النزاهة والأمانة و هي في الأصل متورطة مع الطبقات المسيطرة في المجتمع و ليست سوى صدى كما يريده الأقوياء.

لقد انطوت دراسة فوكو حول الجنون على العديد من النقائض نذكر منها ما يلي :

1/ دافع فوكو عن الجنون و سعى إلى نصرة المجنون ، لكنه لم يعط البديل و لم يبين طريقة التعامل معه ، سواء الطب النفسي أو على مستوى السلطة و اكتفى بالنقد فقط .

2/ انتقد فوكو كل الممارسات التي تقوم بها السلطة اتجاه هذه الشريحة من المجتمع لكنه في المقابل لم يقترح البديل و اكتفى بالنقد فقط ، و الدليل على ذلك انه لم يبين الآليات أو الكيفيات و الطرق التي بمقتضاها يمكننا التعامل مع هؤلاء المجانين .

3/ لقد انتقد فوكو كل الأطروحات التقليدية للسلطة ، و حاول تجاوزها باعتبارها لا تخدم مصلحة الدولة و الشعب على حد سواء ، لكنه لم يوضح لنا النظرة المستقبلية للسلطة أو بعبارة أخرى لم يوضح لنا نموذج السلطة لذي يسعى إلى تحقيقه و الوصول إليه .

4/ لقد أخطا فوكو بحق مجموع من الأطباء حيث ألغى تاريخ عملهم و مجهوداتهم و إتهمهم اتهاما خطيرا بعدم تأديتهم للواجب و حفظهم للأمانة ، لكنه لم يتكلم عن ما ينبغي أن يكون عليه الطبيب النفسي ، و لم يحدد المعايير و الاعتبارات التي تخوله لان يكون مؤهلا ليتخذ هذه المهنة أداة للتطبيب .

5/ لم يدع فوكو لإنشاء هيئة علمية أخلاقية متخصصة ، تسطر برامج و مشاريع تقاوم من خلالها الممارسات اللأخلاقية التي ترتكب بحق المجانين .

6/ لم يتمتع فوكو بالروح الموضوعية في أطروحته حول الجنون ، حيث بين الإكراه من وجه واحد ، حيث صور المجانين و كأنهم ملائكة يمشون على الأرض ، و وصف كل الأطباء و ممثلي السلطة بالأشرار الذين يخدمون السلطة المجسدة حسبه بالشيطان وتناسى عمدا الضرر الذي قد يلحقه المجانين على الأفراد فهم بدورهم يمارسون الإكراه في المجتمع .

7/ بالإضافة إلى كل هذا نعتبر أن دراسة فوكو حول الجنون و مطالبته مستمرة بضرورة معاملة المجنون مثله مثل الإنسان الطبيعي ، يمثل مشروعا فلسفيا مثاليا صعب التحقيق على ارض الواقع ، لان ظاهرة الجنون ظاهرة معقدة .

نستخلص في الأخير أنه بالرغم فوكو لانتقادات عديدة إلا أنها لا تلغي جهوده الفكرية الكبيرة ، و لا تقلل من شانه كفيلسوف من تعرض ، و الدليل على ذلك أن معظم مؤلفاته ترجمة لعدة لغات كالألمانية و الانجليزية و حتى اليابانية ، فقد اهتم به النقاد الأدبيين و أساتذة الفلسفة ، و كل ذلك لان كتاباته لها أهداف إنسانية سامية ساهمت في اتساع حدود العقل ، لكي يصبح أكثر سماحا و قبولا للآخرين ، بالإضافة إلى فضلها العظيم في تحطيم أسطورة العقلانية الأوروبية و النزعة المركزية الأوروبية التي اعتبرت كل الثقافات

و الحضارات الأخرى بدائية ، أو لاغيه بالقياس إليها ، ربما يمكننا القول أن فوكو كان أول مناضل سياسي يوجه نضاله على ضوء تجربته الشخصية بالذات و ليس على ضوء الشعارات أو النظريات السياسية .

قائمـة المصادر و المراجـع

قائمة المصادر والمراجع

1/المصادر باللغة العربية:

1/ فوكو، ميشيل ، إرادة المعرفة ، ترجمة : جورج أبي صالح ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، مركز الإنماء القومي، 1990.

2/ ـــــــــ،أركيولوجيا المعرفة،ترجمة سالم يفوت، ط2،بيروت ، لبنان ،المركز الثقافي العربي،1987.

3/ ـــــــــ،الكلمات والأشياء،ترجمة مطاع صفدي،ط2 ، بيروت ، لبنان،دار الفارابي،مركز الإنماء القومي ،2013.

4/ ـــــــــ،المراقبة والعقاب،ولادة السجن،ترجمة علي مقلد،بدون طبعة ، بيروت ، لبنان ، مركز الإنماء القومي ،1990.

5/ ـــــــــ،تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي،ترجمة سعيد بنكراد،ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي،2006.

6/ ـــــــــ،جينالوجيا المعرفة،ترجمة أحمد السطائي،وعبد السلام بنعبد العالي،ط2، المغرب ،دار توبقال للنشر والتوزيع ،2008.

7/ ـــــــــ،دروس،ترجمة محمد ميلاد،ط1،المغرب ،دار توبقال للنشر و التوزيع ،1994.

8/ ـــــــــ ، فوكو صحافيا ، أقوال و كتابات ، ترجمة : البكاي و لد عبد المالك ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، جداول للنشر و التوزيع ، 2011.

9/ ـــــــــ ، ماالتنوير ، ترجمة : زواوي بغورة ، ط1، الكويت ،مكتبة افاق ، 2013

10/ ـــــــــ، نظام الخطاب ، ترجمة : محمد سبيلا ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، دار التنوير للطباعة و النشر ، 2007.

11/ ـــــــــــ ، همّ الحقيقة،ترجمة مصطفى المسناوي،مصطفى كمال،محمد بولعيش،ط1، الجزائر ،منشورات الاختلاف ،2006 .

12/ ـــــــــــ ،"في السلطة"،ترجمة : عبد السلام بنعبد العالي، مجلة الفكر العربي المعاصر،العدد33،1988.

13/ ـــــــــــ ،"مفهوم الأركيولوجيا"،مجلة المناظرة،العدد4، الرباط ،ماي،1991.

2/المصادر بالفرنسية:

1-Foucault, Michel,Histoire de la folie àl'ageclassique,france,saint amand. ,1964.

2- ـــــــــــــــ ,Les Mots et les Choses,Paris,Gallimard,1966.

3- ـــــــــــــــ ,La Volont de Savoir,Paris , Gallimard,1976.

2/المراجع باللغة العربية:

1/ إبراهيم، زكريا ،مشكلات فلسفية،مشكلة البنية،مكتبة مصر،1976.

2/ ابن داود، عبدالنور ،المدخل الفلسفي للحداثة،تحليلية نظام تمظهر العقل الغربي، ط1،لبنان ، الدار العربية للنشر ،2008 .

3/ إدوارد، سعيد ،الإستشراق،المعرفة،السلطة،الإنشاء،ترجمة كمال أبو ديب، ط2،بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية ،1984.

4/ إديث ،كريزويل ،عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو،ترجمة جابرعصفور، ط1 ، الكويت ، دار سعاد الصباح ،1993 .

5/ أركون، محمد ،أين هو الفكر الإسلامي،ترجمة هاشم صالح، ط2، بيروت ، دار الساقي، ،1990.

6/ آلان، تورين ،نقد الحداثة،ترجمة صباح الجهيم ، بدون طبعة ، دمشق ، وزارة الثقافة ، 1988.

7/ التريكي، فتحي ،الحداثة وما بعد الحداثة ، ط1،دمشق، دار الفكر ،2003.

8/ الجابري،محمد عابد، العقل السياسي(نقد العقل2)، ط1،مصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ،1990.

9/ الجابري ، محمد عابد،تكوين العقل العربي(نقد العقل1)، ط1 ،مصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ،1984.

10/الداوي، عبد الرزاق ،موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،هايدغرليفي ستروس،فوكو،بدون طبعة ، بيروت ، لبنان ،دار الطليعة للطباعة والنشر. بدون تاريخ النشر .

11/ السيد، ولد أباه ،التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو،ط1 ، بيروت ، لبنان ، دار المنتخب العربي ، 1994.

12/ الشيخ، محمد ،المثقف والسلطة،دراسة في الفكر الفلسفي المعاصر،ط1 ، بيروت ،دار الطليعة للطباعة و النشر ،1991.

13/ الكردي ،محمد علي ،وجوه وقضايا فلسفية،ديدرو،بطاي،فوكو،بدون طبعة ، بيروت، دار مطابع المستقبل،مكتبة المعارف ،بدون تاريخ النشر.

14/ ـــــــــ نظرية المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو،بدون طبعة ، الاسكندرية، مصر دار المعرفة الجامعية،1992 .

15/ المزوغي، محمد ،نيتشه،هيدغر،فوكو،(تفكيك ونقد)، ط1 ،تونس،دار المعرفة، 2004.

16/ ـــــــــ في نقد مابعد الحداثة ،فوكو والجنون الغربي ،ط1، تونس ،منشورات كارم الشريف ،2010.

17/ بغورة،زواوي، الفلسفة واللغة،نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة، المعاصرة،ط1 ، بيروت ، لبنان ، دار الطليعة للنشر و التوزيع ،2005 .

18/ بغورة،زواوي،مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، بدون طبعة ، القاهرة ، مصر ، الهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية ، 2000.

19/ بوجليدة ،عمر ،الحداثة واستبعاد الآخر،ط1، الجزائر ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، 2013.

20/ بول دروا، روجيه ،أساطين الفكر،عشرون فيلسوفا صنعوا التاريخ،ترجمة علي نجيب إبراهيم،بدون طبعة ، بيروت،لبنان، دار الكتاب العربي،2012 .

21/ بومسهولي، عبد العزيز ،أفول الحقيقة، بدون طبعة ،المغرب ، إفريقيا الشرق ،2004.

22/ بياجيه، جان ،البنيوية،ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، ط2 ، بيروت ، باريس ، منشورات عويدات ، 1980.

23/ بيترل، بيرجر ،التحليل الثقافي،ترجمة فاروق أحمد،بدون طبعة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2009.

24/ بيير، بورديو ،إعادة الإنتاج،ترجمة ماهوترميش،ط1،مصر ،مركز دراسات الوحدة العربية ،2007.

25/ ــــــــــ،بعبارة أخرى،ترجمة أحمد حسان،ط1 ، الأردن ، ميريب للنشر و التوزيع ، 2005 .

26/ توماس ، ليمكي ، ماركس و فوكو ، ترجمة حسن الحاج ، ط1 ،بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ، 2011.

27/ جعفر ،عبد الوهاب ،البنيوية بين العلم والفلسفة لدى ميشيل فوكو،بدون طبعة ، الإسكندرية ،مصر ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2013.

28/ حرب، علي ،نقد النص،ط4 ، المغرب ، المركز الثقافي العربي، 2004.

29/ حيدر، محمد ناظم ،إشكالية الفلسفة من النقد الأركيولوجي إلى الإبداع المفهومي،قراءة في فلسفتي ميشيل فوكو وجيل ديلوز، ط1،الجزائر ،ابن النديم للنشر والتوزيع، 2015.

30/ دريدا، جاك ،استراتيجية الميتافيزيقيا،ترجمة عز الدين الخطابي،بدون طبعة ،المغرب ،إفريقيا الشرق،2013.

31/ ـــــــــ،الكتابة والاختلاف،ترجمة كاظم جهاد،ط2 ، المغرب ،دار توبقال للنشر ، 2000.

32/ دريفوس، أوبير ، رابينوف بول ،ميشيل فوكو مسيرة فلسفية،ترجمة جورج أبي صالح، بيروت. مركز الإنماء القومي، بدون تاريخ النشر .

33/ دورتي، جون فرونسوا ،فلسفات عصرنا،ترجمة إبراهيم صحراوي، ط1،الجزائر ، منشورات الاختلاف، 2009.

34/ دولوز، جيل، نيتشه و الفلسفة ،ترجمة : اسامة الحاج ، ط2، بيروت ، لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ، 2001.

35/ ـــــــــ،المعرفة والسلطة،مدخل لقراءة فوكو،ترجمة سالم يفوت، ط1،بيروت ،المركز الثقافي العربي، 1987 .

36/ دوسارتوا، ميشال ،ابتكار الحياة اليومية،فنون الأداء العملي،ترجمة محمد شوقي الزين، ط1،الجزائر ،منشورات الاختلاف، 2011.

37/ ديكارت، رينيه ،تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ط4،بيروت ،باريس، منشورات عويدات، 1988 .

38/ ديكارت، رينيه ،مقال عن المنهج،ترجمة محمود محمد الخضيري،بدون طبعة،القاهرة ، مصر، المطبعة السلفية،1930.

39/ رودليس ، لويس جينفياف، ديكارت و العقلانية ، ترجمة : عبد الحلو ، ط4 ، بيروت ، باريس ، منشورات عويدات ، 1911.

40/ روزوين، فاديم ،التفكير والإبداع،ترجمة نزارعيون السود،بدون طبعة ، سوريا ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011.

41/ روي، بورتر،موجز تاريخ الجنون،ترجمة ناصر مصطفى أبو الهيجاء، ط1،هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ،2012 .

42/ زكريا ،ميشال ،الألسنية علم اللغة الحديث،المبادئ،ط2، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ، 1985.

43/ رايس ، زواوي ، في فلسفة ميشيل فوكو ، ط1 ، دمشق ، دار صفحات ، 2014 .

44/ سبيلا، محمد ،مدارات الحداثة، ط1 ، بيروت ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، 2009.

45/ ـــــــــــ ما بعد الحداثة فلسفتها ، ط1 ، المغرب ، دار توبقال للنشر ، 2007 .

46/ ستروك، جون ،البنيوية من ليفي شتراوس إلى دريدا،ترجمة محمد عصفور، ط1 ،الكويت، عالم المعرفة، بدون تاريخ نشر.

47/ صخري ، محسن ، فوكو قارئا لديكارت ، ط1 ، حلب ، مركز الإنماء الحضاري ، 1997.

48/ صفدي، مطاع ،نقد العقل الغربي،الحداثة وما بعد الحداثة،بدون طبعة ، بيروت ، مركز الإنماء القومي،1990.

49/ عيادي، عبد العزيز ،ميشيل فوكو،المعرفة والسلطة،ط1 ،بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،1994.

50/ غارودي، روجي ،البنيوية فلسفة موت الإنسان،ترجمة جورج طرابيشي،ط1 ، بيروت ، دار الطليعة للنشر و التوزيع ،1985.

51/ ـــــــــ،نظرات حول الإنسان،ترجمة يحي هويدي،بدون طبعة ، القاهرة،مصر ،المجلس الأعلى للثقافة،1986.

52/ فاين، بول ،أزمة المعرفة التاريخية،فوكو وثورة في المنهج،ترجمة إبراهيم فتحي،ط1، الأردن ، دار الفكر للدراسات والنشر ،1992.

53/ فرديناند ،دي سوسير ،دروس في الألسنية العامة،ترجمة محمد القرماوي، محمد الشاوش ، محمد عجينة ، بدون طبعة ، ليبيا ، طرابلس ، تونس، الدار العربية للكتاب ، 1985.

54/ فضل الله ، مهدي ، فلسفة ديكارت و منهجه ، ط1 ، بيروت ، دار الطليعة ، 1982.

55/ كرم ، يوسف ، العقل و الوجود ، بدون طبعة ، مصر ، دار المعارف ، 1964.

56/ كلود، كيتال ،تاريخ الجنون من العصور الوسطى إلى يومنا هذا،ترجمة سارة رجائي،ط1،القاهرة ، مصر، مؤسسة هنداوي،2010.

57/ كوتنغهام ، جون ، العقلانية فلسفة متجددة ، ترجمة منقذ الهاشمي ، ط1 ، حلب، مركز الإنماء الحضاري ، 1997.

58/ ليفي ستروس، كلود ، الفكر البري ، ترجمة : نظير جاهل ، ط3 ، بيروت ، لبنان ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 2007.

59/ مهيبل ،عمر ،البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر،بدون طبعة ، الجزائر، منشورات الاختلاف،بدون تاريخ نشر .

60/ ـــــــــ،من النسق إلى الذات، ط1،الجزائر ، منشورات الاختلاف، 2007.

61/ نيتشه ، فريديريك ، أصل الأخلاق و فصلها : ترجمة حسن قبيسي ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ، 1983.

62/ ـــــــــ ، هكذا تكلم زرادشت ، ترجمة فليكس فارس ، بدون طبعة ، الاسكندرية ، مطبعة جريدة البصير ، 1938.

63/ هاشمير، ستيوارت ،عصر العقل،ترجمة ناظم طحان، ط2،سوريا ،دار الحوار للنشر والتوزيع، 1986.

64/ هوروكس، كريس ،فوكو،ترجمة إمام عبد الفتاح،ط1 ، المشروع القومي للترجمة ، 2002.

65/ يفوت، سالم ،الزمان التاريخي،ط1 ، بيروت ، لبنان ، دار الطليعة للنشرو التوزيع ، 1991.

66/ ـــــــــ ، المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر،ط1 ، بيروت،دار الطليعة للطباعة والنشر،1999.

67/ يورغن، هابرماس ،القول الفسفي للحداثة،ترجمة فاطمة الجيوشي،بدون طبعة ، دراسات فلسفية وفكرية،وزارة الثقافة،1995.

68/ يوسف، جمعة سيد ،سيكولوجية اللغة والمرض العقلي،بدون طبعة ،الكويت ، عالم المعرفة،المجلس الوطني للفنون والثقافة،1978.

3/المراجع باللغة الفرنسية:

1-(J-C)Merquior,foucault,fontana,press/collinslondon,Glasgow.1985.

2- Michel , Dufrenne,pour l'homme, paris, édition de suiel,1968.

3- (M)Gouchetet(G) swain,La pratique de l'esprit humain,l'instution asitaire et la révolution democratique,Gallimard,1980.

4- (P)Moret et Quetel,Les Medecines de la folie, paris,Hachette, 1985

4/المجلات:

1/ الحاج، صالح رشيد ،"الإنسان في عصر ما بعد الحداثة"،مجلة الرافد،العدد46،2003.

2/ برنهارد، تاورك ،"ميشيل فوكو مراكز تشكل الذات المعرفية"،مجلة الثقافة الأجنبية،العدد1،2011.

3/ زيادة ،رضوان ،"معنى الحقيقة في خطاب ما بعد الحداثة"،مجلة يتفكرون،فصيلة فكرية ثقافية مؤسسة مؤمنون بلا حدود.

4/ فرانسوا، إوالد ،"محاورة مع فوكو"،كتابات معاصرة،العدد 21،آيار،1994.

5/ مجدي،عبد الحافظ ،"موقع العقل في فلسفات ما بعد الحداثة"،مجلة عالم الفكر،العدد2،المجلد41 أكتوبر-ديسمبر،2012.

6/ مركوار ، جوزي ،"الانغلاق الكبير"،مجلة دراسات عربية،العدد 12،1989.

7/ موريس، بلانشوا ،"ميشيل فوكو كما أتخيله"،ترجمة : هوار ادريس ،مجلة مدارات فلسفية،العدد16،1 يونيو 2008.

8/ هاشم ، صالح ، جولة في فكر محمد آركون ، مجلة مواقف ، العدد49 ، 1964.

9/ ـــــــــ،"فوكو فيلسوف القاعة الثامنة"،مجلة الكرمل،العدد12،1984.

10/ـــــــــ،"فوكو كما يراه النقد الفلسفي الفرنسي"،مجلة مواقف،العدد14،1984.

11/ هايدغر مارتن ، "رسالة في النزعة الإنسانية " ترجمة: عبد الهاد مفتاح ، مجلة فكر ونقد ، العدد 11 ، سبتمبر 1998.

12/ وسام، سعادة ،"المناظرة الديكارتية حول الجنون وتاريخ الجنون"،مجلة العرب والفكر العالمي، العدد134،ماي 2006.

13/ يفوت، سالم ،"مفهوم السلطة عند ميشيل فوكو"،مجلة آفاق عربية،السنة13،كانون الأول،1984.

1/ Bourdieu, Pierre, ” Le Plaisire De Savoire” , Article In Le Monde n°12260, De 27 Juin 1984.

2/ Derrida, Jacques, ” cogito et l’histoire de la folie” ,in l’ecriture et defference,paris 1967.

3/ Foucault ,Michel, ” leçon au collége de France in 1976 France”,cité par paul veyne,in coment on écrit l’histoire,suivi revolution l’histoire.

4/_____, Les aveux de philosophie”,in le point,n°1659,(01/07/2004

5/_____ , ” presentation de l’edition americaine de l’anti oedipe”,une introduction a la vie mon fasciste,magazine littéraire , n° 257, september .1988.

6/_____ , ”Réponse au cercle d’épistémologie ”. Un cahier pour L’analyse nº9.mai 1968

7/ Sarter,Jean paul, repond ,article in l’arc , n°30,1966.

5/المعاجم والموسوعات:

1/ الخازن، منير وهبة ،معجم مصطلحات علم النفس،تقديم كمال الحاج،الاسكندرية ، مصر، دار النشر للجامعيين.

2/ شوقي الضيف، معجم المصطلحات الطبية، الجزء الثالث ،بدون طبعة، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية، 1999.

3/ أندريه، لالاند ،الموسوعة الفلسفية،المجلد الأول،ترجمة خليل أحمد خليل، ط2 ،باريس منشورات عويدات ،2001.

4/ جميل، صليبا ،المعجم الفلسفي،الجزء الثاني ،بيروت لبنان ،دار الكتاب اللبناني ، 1982.

5/ روزنتال.م، يودين .ي ،الموسوعة الفلسفية ترجمة سمير كرم،مراجعة جلال العظم،جورج طرابشي ، ط3،بيروت، دار الطليعة، ،1981.

6/ سلامي ،نوبير ،المعجم في علم النفس،الجزء الثالث،ترجمة وجيه أسعد، دمشق،منشورات وزارة الثقافة، 2001.

7/ سعيد ،جلال الدين ،معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية،تونس ، دار الجنوب للنشر،2004.

8/ مذكور، إبراهيم ،المعجم الفلسفي ،المجمع،مصر ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،1984.

9/ م،هوكنز، جويس ،قاموس اكسفورد،إنجليزي،عربي،تحرير عمر الأيوبي،ط1،لبنان ، أكاديمية دار الكتاب اللبناني ، 2006.

6/ الروابط الإلكترونية

1/ تشارلز ليمرت، "حقل فوكو"،ترجمة خالدة حامد، مجلة أفق من الرابط الإلكتروني: http://208.185.82.137archive02/aqwas26-la.htm